عبد الوهاب مطاوع

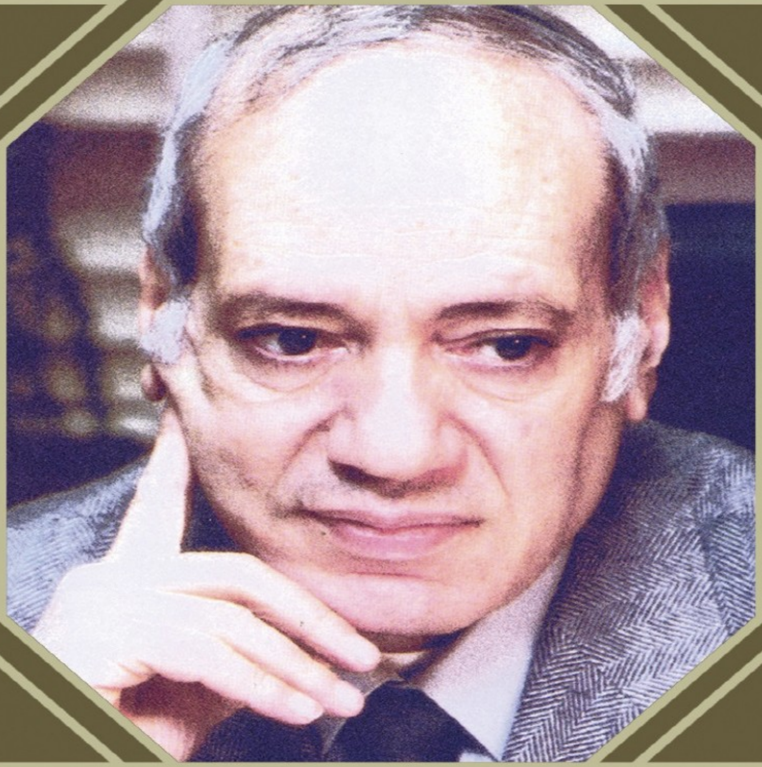

المجموعات القصصية

لا تنسى

فريق متميزون
E-BOOK

الدار المصرية اللبنانية

مكتبة فريق (متميزون)
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: لا تنسى.. للكاتب عبدالوهاب مطاوع إلى صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

كتب قصصية للراحل
عبد الوهاب مطاوع..

لا تنسى

عبدالوهاب مطاوع

هذا الكتاب..

الحياة.. تلك الساحرة الرائعة الهادرة الصامتة المشرقة المتجهمة الشاردة المفكرة الهادفة الهائمة.. هذه هي الحياة بكل متناقضاتها.. تتأرجح بين الأحداث والذكريات والنسيان..

يدور كل منها وراء الآخر.. تتواصل الأحداث فتتوالد الذكريات ثم يتعهدها النسيان ليبقى منها فقط ما نحرص - نحن - على بقائه تحت شعار "لا تَنسِنى".. ومن هذه الرؤية الثلاثية، المتجمعة في نقطة واحدة، تأتي قصص الكاتب المبدع "عبد الوهاب مطاوع"، رحمه الله، كأثر خالد على أستاذيته وريادته لهذا اللون من القصص الإنساني.. الذي لا يمكنك أن تحدد في ثلاثية أخرى مقابلة.. أين الكاتب وأين البطل وأين المتلقي.. فقد صاروا جميعاً كلًا غير قابل للانفصام...

عبد الوهاب مطاوع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حقيبة السفر

راجع محتويات حقيبة السفر للمرة الرابعة، وتأكد من وجود كل شيء بها فأغلقها، وطاف بأنحاء الشقة الصغيرة ليتأكد من إغلاق محبس الماء ورفع أكباس الكهرباء وإحكام إغلاق النوافذ والشرفة الوحيدة، فغرقت الشقة في ظلام خفيف، ينذر بوحشة الهجر والغياب. وجلس صامتاً بجوار التليفون كأنما يترقب اتصالاً ضرورياً قبل الرحيل، فمضى الوقت بطيئاً دون رنين. سمع طرقة خفيفة على الباب فاتجه إليه، ووجد بواب العمارة أمامه يطلب الحقيبة، وينبهه إلى تذمر سائق سيارة الأجرة من طول الانتظار. سلّمه الحقيبة واعداً باللحاق به ثم أغلق الباب وعاد للشقة المظلمة. يتجول في أرجائها كأنما يبرر لنفسه تأخره في مغادرتها برغبته في التأكد من جديد من إغلاق الشرفة والنوافذ. وقف يلقي على شقته الصامتة نظراته الأخيرة وصدى صوت قديم يتردد في أذنيه.. مجدداً كل الأحزان!

في مثل هذا ا اليوم منذ عام واحد.. وفي مثل هذه اللحظات لم يتوقف جرس التليفون عن الرنين كل بضع دقائق حاملاً له صوتها "الغاضب" الحنون يسأله في إشفاق: هل حقا ستسافر بعد قليل؟ فيجيبه بما يمليه عليه الموقف من كلمات ويضع الساعة ويواصل إعداد حقيبته، فيرن التليفون مرة أخرى ويتكرر التساؤل الحبيب!

أعد حقيبة السفر هذه المرة دون مقاطعة ولا رنين.. فأين ذهب الإشفاق الجميل؟

استسلم لخواطره لحظات فأفاق على طرقات الباب مرة أخرى، ووجد أمامه البواب من جديد يبلغه هذه المرة بتهديد سائق الأجرة بالانصراف إن لم ينزل إليه على الفور، فيرتبك للحظات ويطلب من البواب الانتظار، ويعود إلى داخل الشقة فيراجع للمرة الأخيرة نوافذها المغلقة، ويرقب التليفون الصامت في قنوط للحظات أخرى، ثم يغادر الشقة ويغلق الباب بإحكام ويركب المصعد مع البواب.

وأمام سيارة الأجرة التي لم يخف سائقها نظرة التذمر البادية عليه، استدار إلى البواب وصافحه مودعاً، فحياه الآخر بحرارة قائلاً له: ستوحشنا يا أستاذ!

ركب سيارة الأجرة وصدى عبارة البواب العفوية يتردد في قلبه الحزين. سيفتقدني البواب الطيب.. فما بال "الآخرين" لا يفتقدونه ولا يهتزون لفراقه؟

تشاغل عن أفكاره بمراقبة الطريق، فتوقفت عيناه عند إشارة المرور أمام زوجين شابين، يسيران على الرصيف المجاور وذراع كل منهما في ذراع الآخر، والزوجة في أيام حملها الأخيرة ترفل في فستان واسع، وتستقر في عينيها نظرة الاطمئنان والأمان.. فسأل نفسه: كم مرة تخيل نفسه في نفس

هذا المشهد الحبيب معها وذراعـه في ذراعها.. و "حملها" الجميل يتقدمها في الطريـق؟ قـال لها إنه لن يقنع بأمومتها للطفلتين اللتين أنجبتهما في زواجها الأول.. وأنه يتوق لطفل من صلبه يجمع بينهما للأبد فأحنت رأسها باسمة بغير اعتراض.
جمعت بينهما الأيام في العمل.. كان شاباً ممتلئاً بالأمل في الحياة والسعادة، وكانت هي زوجة شابة لا تخفي تعاستها على زملائها في العمل، فلفتت نظره بجمالها الوديع وروحها الطيبة الودود مع الجميع.. وتساءل في باطنـه كيف تضن الحياة على من كانت في جمالها ورقتها بالسعادة وراحة البال؟ اقتربت منه خلال زمالة العمل وأنست إليـه واصطفته من بين الزملاء صديقاً مقرباً، تحكي له بإسهاب عن متاعبها مع زوجها الذي ارتبطت به خلال الدراسة الجامعية، وتزوجته عقب التخرج وأنجبت منه طفلتين، فإذا به يتكشف لها بعد أعوام قليلة من الزواج عن شخص آخر تفوح روائح خياناته المتعددة لها، ويعتدي عليها بالضرب بوحشية إذا واجهته بها، ويضغط عليها بقسوة لكي تنقل إليه ملكية الشقة التي اشتراها لها أبوها، وتتكرر مرات هجرها له بعد كل "مذبحة" مماثلة بينهما ثم عودتها إليه بعد حين حرصاً على الطفلتين، فلا يطول الوقت حتى يتجدد الصراع مرة أخرى، وتعود لبيت أسرتها مثخنة بالكدمات والإصابات!
عايش همومها ومتاعبها بقلب يحس تجاهها بالإشفاق والرثاء، وأدى لها بإخلاص كل ما تحتاج إليه من خدمات في العمل وفي حياتها الشخصية، فلم يمض وقت طويل حتى سلم لنفسه بأنه غارق حتى الثمالة في حبها، ويتمنى لو كان يستطيع أن ينقذها من تعاستها ويقضي ما بقي له من عمر إلى جوارها.. طالت فترات جلوسها معه العمل.. وبدا واضحاً للعيان أن يتعبد في محرابها في صمت وبلا أدنى أمل فيها، فتطايرت الهمسات عنها ولامها الزملاء في أحاديثهم لاستدراجها هذا الشاب الطيب للوقوع في حبها أكثر مما لاموه هو لسلامة نيته ونقص تجربته. تحمّل صابراً نظرات الاستياء في عيون الزملاء، ولم يغضب من أحد راجياً في أعماقه أن يقدروا له صمته وعجزه حتى عن مجاهرتها بحبه الذي لم يخف على أحد.
واشتدت معاناة زميلته مع زوجها.. وبعد صدام جديد وخيانة أخرى هجرت بيتها وعادت مع طفلتيها إلى بيت أسرتها، وطلبت الطلاق بإصرار هذه المرة.. ورفض زوجها طلاقها وراح يلاحقها في العمل وفي كل مكان ويتحرش بها، فاحتمت بزميلها الـمحب..
وطلبت منه أن يلازمها في رحلة الذهاب للعمل في الصباح والعودة منه، ووقعت اشتباكات مؤسفة بينه وبين زوجها وصلت إلى تبادل الضرب والذهاب إلى أقسام الشرطة.. واشتد انتقاد الزملاء لزميلتهم، وترددت نصائحهم لزميلهم الشاب بالنجاة بنفسه من هذا العناء فأبى التخلي عن حبيبته في ضعفها، وأكد للجميع أنه سيقف إلى جوارها حتى النهاية، وبلغت أنباء

مصادمات الشارع مسامع رئيسه في العمل فاستدعاه ولفت نظره إلى مخالفة ما يجري لأصول العمل، وطالبه بوضع حد "للعلاقة الشائنة" بينه وبين زميلته وإلا اضطر إلى نقله إلى موقع آخر، ففوجىء بمرؤوسه الشاب ينفجر باكياً، وهو يؤكد له عجزه عن التخلي عن زميلته ولو انتهى به الأمر إلى الفصل من العمل، فبهت رئيسه لانهياره المفاجئ أمامه، وأحس له ببعض الرثاء، ثم أنهى الموقف راجياً منه الابتعاد بقدر الإمكان بهذه "المهازل" عن مكان العمل!

وتتطور الأحداث بينها وبين زوجها وبعد مشاكل عصيبة بينه وبينها، سلم الزوج أخيراً برغبة زوجته في الانفصال وطلقها، وترك طفلتيه في رعايتها مقابل تنازلها عن كل حقوقها.

وتشجع هـو بمـا حـدث فصارحها للمرة الأولى بما يعلمه الجميع من حبه الآسر لها ورغبته في الزواج منها.. وتوقع أن تتهلل لرغبته الصريحة فيها ففوجئ بها تتردد.. ثم تتحدث عـن مـخاوفهـا مـن أن يؤدي زواجها منه إلى مكايدة زوجها السابق لـها ومطالبته بحضانة الطفلتين رغم عجزه عن رعايتهما مادياً ونفسياً.

ويغرق هو في الحيرة والألـم.. ويشتد به الألـم ذات يوم فيقاوم خجله، ويدخل إلى رئيسه راجياً منه أن "يحدثها" ويقنعها بالزواج منه وهو الذي يحبها في صمت وإخلاص منذ ثلاثة أعوام! ويتردد رئيسه في رفض رجائه إشفاقاً عليه، ويستدعيها ليحدثها في أمر هذا الشاب الذي اضطربت حياته بسببها.. وتعده بالتفكير في الأمر بعد زوال المصاعب، ويطول انتظار الشاب فيجيئه الحل الموعود بأن يبذل كل جهده للحصول على شقة لا يقل مستواها عن شقة الزوجية السابقة لتكون عشاً جديداً لهما، على أن تبقى الشقة الأولى للطفلتين في المستقبل، ويحمل الوسطاء بينها وبين زوجها السابق موافقته على الحل بهذا الشرط وحده وإلا استرد الطفلتين.

ويقف هو عاجزاً أمام الحل المستحيل، وقد كان يظن أن في شقته الصغيرة الكفاية إلى أن تتحسن الأحوال.. وتتمسك فتاته بشرطها ويساندها أبوها.. فلا يجد بعد التفكير الطويل وسيلة لتحقيق الأحلام سوى السعي للسفر إلى الخارج، ويكتب إلى شقيقه الذي يقيم بإحدى الدول العربية طالباً إيجاد فرصة عمل له معه. وتجيء البُشرى بعد شهور أخرى من الانتظار الثقيل، ويبدأ استعداداته للسفر الذي سيقربه من حلم السعادة، فيحس بهلع غريب لفكرة ابتعاده عنها وغيابها من حياته للمرة الأولى بعد أربع سنوات حافلة بالحب والعناء. وفي غمرة الآلام يرجوها أن يعقد قرانه عليها قبل السفر ليطمئن جانبه بها في غربته.. فتتردد في القبول ثم ترجوه بعد تفكير أن يؤجل ذلك إلى أول أجازة له من عمله الجديد.

وامتثل لرغبتها صاغراً وواصل استعداده للسفر، فحصل من عمله على إجازة دون مرتب، وأنهى الإجراءات وهو يزداد اكتئاباً لفكرة الرحيل وهي تتردد بين

تشجيعه عليه.. وبين "إثنائه" عنه في لحظات عابرة تعبر له فيها فجأة عن "غضبها اللذيذ" لفكرة سفره وابتعاده عنها، ويسعد بهذا "الغضب" الممتع أكثر من أي شيء آخر في الحياة ويعتبره دليلاً على الحب المكين.
وفى يوم الرحيل منذ عام نهض من نومه مكتئباً وراح يعد حقيبته للسفر في صمت، فرن جرس التليفون وجاءه صوتها هامسًا في خوف جميل: هل حقاً ستسافر اليوم؟
فكاد يرجع عن قراره بالسفر لولا أن عادت هي بعد لحظات وشجعته عليه، وبعد قليل رن جرس التليفون وجاءه صوتها الحبيب يقول له: هل حقاً تريد السفر؟ ثم توالى اتصالها به كل بضع دقائق يحمل له في كل مرة هذا التساؤل الحائر، فسلم بأن محبوبته طراز وحدها بين النساء وثَمِلَ بإحساس الحب والعرفان.
وسافر إلى عمله الجديد وتحمل عناء الاغتراب والبعد عنها بصعوبة قاتلة، وواصل كتابة الرسائل إليها والاتصال بها تليفونياً كـل يـومـين طوال عشرة شهور، آمن خلالها بأنه لولا دفء صوتها لما احتمل الحياة في مهجره يوماً واحداً، ثم اتصل بها ذات يوم في موعده فلم يجدها في بيت أبيها، وأحسن في صوت أمها بنبرة غريبة زعجته، فألح عليها بالسؤال فصارحته بأن ابنتها قد عادت إلى زوجها منذ أيام حرصاً على مستقبل الطفلتين.. وأن كل شيء قسمة ونصيب!
ولم يدر كيف أنهى المكالمة، ووضع السماعة في موضعها.. ولا كيف عاش الشهرين التاليين حتى حان موعد إجازته الأولى من عمله. ولولا أن شقيقه كان يستعد للعودة معه في الإجازة لما رغب في العودة أو وافق عليها. وحين رجع إلى بلده تجنب زيارة عملـه السـابـق حـتى لا ينكأ الجراح الحية، وقضى أيام الإجازة هائماً بين بيت أسرته في الريف وبيوت شقيقاته المتزوجات يعيش بلا حماس ولا رغبة في شيء.. وتمنى في أعماقه أن تجيئه فتاته "الغادرة" متورمة العينين دامية الأنف لتشكو له زوجها "المتوحش" كما كانت تفعل في الأيام "الجميلة "، لكن لقاءه بالمصادفة مع إحدى زميلاته في عمله السابـق قد بدد حتى هذا الأمل البعيد، فقد تطوعت بنقل أخبارها إليه ثم صارحته برأيها وبما يعتقده كل الزملاء من أنها لا تزال تحب زوجها رغم ما تلاقيه منه، وأنها كانت تستمتع بحبه لها وتستفيد من مؤازرته لها واستعداده لأن يفعل أي شيء في الحياة من أجلها، فصافح زميلته مضطرباً وأسرع الخطى بعيداً عنها كأنما يولي الأدبار، ورغم الدلائل الواضحة فلقد تمسك بالأمل العجيب في أن تفاجئه خلال إجازته بالاتصال به وتجديد عهدها معه!.
ولم يفارقه هذا الأمل اليائس حتى في يوم السفر فتباطأ عامداً في إعداد حقيبته.. ومراجعة الأبواب والنوافذ المغلقة.. واختلس النظر مرات عديدة إلى التليفون الصامت يستجديه الرنين.. ولم يغادر الشقة إلا حين سلم باليأس المرير من كل شيء..

طفر الدمع في عينيه حين بلغ في خواطره مشهد الانتظار العاجز يوم الرحيل، ففوجئ بصوت السائق يقول له بنبرة إشفاق غريبة عليه:
وصلنا يا أستاذ منذ دقائق.. وأخشى أن تفوتك الطائرة!
فغادر السيارة محرجاً من دمعه الذي فضحه أمام سائق السيارة ونقده أجره مجزلاً له العطاء.
فشكره السائق وقال له وهو يساعده على حمل الحقيبة "فاهماً":
- طريق السلامة يا أستاذ.. الغربة صعبة لكن للضرورة أحكام.. مع السلامة!
فشكره بكلمات خافتة.. ومد له يده مصافحاً ثم استدار حاملاً حقيبته وغاب في زحام المسافرين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

الخطوة الأخيرة

رنَّ جرس التليفون وهما يتناولان طعام الإفطار وحيدين كعادتهما منذ ثلاث سنوات، فنهض الابن ليجيبه وتبادل بعض كلمات التحيـة مع محدثته ثم حمل التليفون إلى أبيه، وعـاد للجلوس إلى المائدة وهـو يقول له: عمتي خديجة يا أبي.. فتناول الأب السماعة ورحب بشقيقته، وهو يرقب ابنه في حذر كأنما يخشى أن "يفهم" شيئاً من موضوع الحديث.. ثم قال لشقيقته: ليس بعد يا خديجة.. سأفعل.. سأفعل وسأبلغك في حينه إن شاء الله.. شكراً مع السلامة!

ووضع السماعة فوجد ابنه يتطلع إليه مستفسراً، وكانت الوحدة قد جمعت بينهما منذ رحيل الأم منذ ثلاث سنوات، وأزالت كل الحواجز فاعتادا ألا يخفي أحدهما عن الآخر شيئاً.. فقال له الأب: عمتك تريدني أن أفاتح صديقي عبد العظيم برغبة أحد معارفها في التقدم لابنته وقد وعدتها بأن أفعل اليوم لكن الوقت مازال مبكراً!

وعادا لتناول الطعام فلاحظ الابن أن أباه لا يكاد يأكل شيئاً ولفت نظره إلى ذلك، فنهض الأب عن المائدة رافعاً طبقه وهو يقول لابنه: يبدو أن معدتي ليست على ما يرام هذا الصباح.. لهذا سأكتفي بشرب الشاي في الشرفة.

-ودخل إلى المطبخ فأفرغ طبقه من محتوياته وغسله، وصنع كوباً من الشاي وتوجه به إلى الشرفة ثم أشعل سيجارة، وفتح صحيفة الصباح ودس رأسه فيها كأنما يتجنب نظرات ابنه إليه ومن بين طياتها راح يرقبه في إشفاق وهو يتناول طعامه، ثم يرفع الأطباق ويعيدها للمطبخ، ويرجع ومعه قطعة من القماش المبلل يمسح بها مائدة الطعام ثم يختفي في المطبخ من جديد.

الوحدة أفضل مدرسة لتعليم الإنسان كيف يعتمد على نفسه، وقد تعلما منها أن يقوما بشئون حياتهما معا.. أما في الأيـام الـجميلة فلم يكن هو ولا ابنه يعرفان كيف يغسلان طبقاً أو يصنعان طعام الإفطار.. كانت تقوم عنهما بكل العمل وتحرص على أن يتلألأ مسكنها دائماً ببريق النظافة والجمال، وتقول لابنها حين يعرض عليها مساعدتها في شئون البيت: حسبي منكما أن يكافح أبوك في عمله لتوفير نفقات حياتنا.. وأن تجتهد أنت في دراستك أمـا البيت وشئونه فهما واجبي!

جميلة وطيبة وعطوفة.. وأمٌ بالفطرة، فاضت أمومتها على ابنها الوحيد وامتدت فأغرقته هو بعطفها وحبها.. أسعد أوقاتها كانت في أوقات الصباح من يوم الجمعة. تنهض مبكرة.. تأخذ حمامها والزوج الحبيب والابن الأثير يغطان في نومهما العميق، ترتدي أجمل فساتين البيت وتتعطر وتعقص شعرها الطويل وتثبته بفراشة وردية، ثم تشعل أعواد البخور التي تتفاءل بنشر شذاها في مسكنهم يوم الجمعة، وتصنع لهما إفطارا مميزاً لا يحظيان به إلا يوم العطلة ثم تدخل إلى زوجها النائم في فراشه وتوقظه برفق، كأنما تشفق عليه مِن أن تحرمه من نومهِ اللذيذ فتهمس له داعية إياه للنهوض..

وتمهله مهلة أخرى ليستمتع بدقائق أخرى من النوم، وتذهب إلى ابنها الوحيد في غرفته وتكرر معه المهمة بنفس الهمس العطوف، فلا يغادران الفراش إلا وقد تنقلت بين غرفتيهما عدة مرات!
قمة سعادتها حين يجلسون جميعاً إلى المائدة فتـوزع عليهم الطعام وتستحث زوجها وابنها على تناوله بشهية، أمـا شاي الصباح فموعده في الشرفة حيث يجلس الآن وحيداً مع صحيفته.. وقد تعلم الابن منذ طفولته أن يحترم موعده، وأن يؤجل رغبته في الحركة واللعب إلى ما بعد الانتهاء من تناوله مع أبيه وأمه.
في المقعد المقابل له كانت تجلس وتصب الشاي. وتتلذذ باحتسائه ويستمتع هو بالحديث إليها.. ويتردد بين الكلام معها وبين قراءة الصحيفة.. فتحتج على انصرافه عنها إلى صحيفته، وتعيد عليه رجاءها بألا يشغله عنها شيء في هذا الصباح الجميل! أما الابن فيحتسي كوبه خطفاً، ويسرع إلى الداخل لينفذ برامجه للعب والشّيطنة
هذا الصباح وتدعه أمه يفعل ما يشاء بلا حرج.. ففي يوم الإجازة تختفي كل التحفظات والقيود.. ويرتع الابن في المسكن الجميل.. يبني قصوره من المكعبات. أو يدير قطاره الكهربائي أو يشاهد التليفزيون بلا تحديد لمواعيد المشاهدة كما في أيام الأسبوع.
أما هي ففتنة متنقلة تتحرك في البيت الجميل نافثة عطرها وحيويتها وبهجتها على كل الأشياء. تختفي في المطبخ دقائق فيفتح صحيفته منتهزاً فرصة غيابها، ويستغرق في القراءة بعض الوقت ثم يضع الصحيفة على الفور حين تهل عليه بابتسامتها الساحرة حاملة قهوة الصباح!
لم يكن قبل أن يتزوجها من هواة القهوة ولا من محبيها، وفي أيامهما الأولى معاً كان يتجرعها صابراً مجاملة لها بعد الإفطار ثم عشقها وأدمنها فأصبح أكثر حرصاً عليها منها.. هوايتها بعد أن يفرغا من احتساء القهوة أن تقلب فنجانه في طبقه بعض الوقت وترفعه، وتدقق النظر فيه باهتمام شديد يثير ضحكه ثم تبتسم في "فهم" أو تجلس ساهمة للحظات وهي تتمتم "اللهم اجعله خيراً".. وهواجسها اللذيذة دائماً هي: من هذه "المرأة" التي تظهر إلى جوارك في الفنجان؟ ولماذا "تنظر" إليها هكذا؟ وماذا تريد منك؟ فيضحك من أعماقه ويطلب أن "يراها" لكي يستطيع أن يجيبها عن السؤال، ثم يرفع يدها ويقبلها بامتنان فتهدأ خواطرها ويعود لها مرحها وابتهاجها!
عن أمها اكتسبت عادة تناول القهوة.. وهواية قراءة الفنجان فعرفت بذلك بين إخوته وزوجاتهم، وانهالوا عليها في كل زيارة بطلب قراءة حظوظهم.. وأحبوها لرقتها مع الجميع وطيبة قلبها ومشاركتها لهم في كل الواجبات العائلية، تزور المريض منهم وترجع من عنده محمرة العينين من البكاء إذا كانت الأزمة شديدة، وتشارك إخوته أحزانهم فتبكي مع الزوجة الغاضبة من زوجها.. والأم الحزينة لرسوب ابنها، وتجامل الصغار في مناسبات نجاحهم

وأعياد ميلادهم وتدعو الجميع إلى عيد ميلاد ابنها الوحيد.. ودعاؤها المفضل في كل مناسبة هو أن يحفظ الله عليها زوجها وابنها، فمضت السنوات معها كالحلم الجميل. ولم تفارق بيتها مرة إلى بيت أسرتها غاضبة أو محتجة على شيء، ولم يتجاوز أي خلاف عابر بضعة أيام تمضيها أو بعض ساعات باكية دامعة العينين. ولم يشك منها أحد من إخوته أو زوجاتهم أو أزواجهم، فكأنما كانت جائزة السماء له عن حرمانه من أمه في طفولته وعن حرمانه من أبيه وهو في سن العاشرة وتنقله بين بيوت إخوته حتى تخرج وتزوج.

وقت الظهيرة من يوم الجمعة كان موعده مع أفضل الوجبات المحببة إليه والتي تتفنن في صنعها له من يوم الخميس حتى لا يشغلها عنه شيء يوم الإجازة.. وأما المساء ففي زيارة الأهل والأقارب أو في نزهة بريئة مع ابنها الوحيد بالمدينة، وعبثاً حاول أن يقنعها بالخروج صباح يوم ا العطلة في رحلة إلى أي مكان أو إلى أحد الأندية.. فسدت عليه كل المنافذ بأن سعادتها هي في أن تمضي أوقات الصباح معه ومع ابنها الوحيد في بيتها.

وفجأة شكت الزوجة الحبيبة التي لم تشكُ يوماً مرضا من ألـم عابر في صدرها.. واصطحبها إلى الطبيب فكانت زيارته نهاية للأيام الجميلة في حياته وبداية لرحلة العذاب والألم، فمن طبيب إلى طبيب تنقل بها واكفهرت السماء في حياتهم للمرة الأولى، وتكاثرت السحب الثقيلة الكئيبة.. حتى غابت عن بيتها ذات صباح حزين منذ ثلاث سنوات بعد رحلة قصيرة مؤلمة مع المرض، وخلفت وراءها أرمل ذاهلاً وصبياً حزيناً في الثانية عشرة من عمره!

وواجه حياته الجديدة مكتئباً وممروراً، وقاسى الأمرين مع بكاء ابنه المتصل على أمه الراحلة وافتقاده لها.. وحاول بكل جهـده أن يعوضه عن غيابها فزاد من عطفه عليه ورعايته له.. وبالغ في الترويح عنه باصطحابه معه إلى ملاعب الكرة والسلة والمسارح ودور السينما وإلى كل مكان يذهب إليه، حتى اعتاد الجيران أن يروهما معا غاديـن رائحين مشتبكين دائماً في حديث متصل.. ولاحظ هو بقلق أن ابنه ليس له أصدقاء من سنه عدا زملاء الدراسة، فشجعه على الاقتراب من أبناء إخوته وأبناء الجيران الماثلين له في السن وتبادل الزيارات معهم.

وبعد عام ثقيل تولى فيه كل شئون البيت وحده بدأ يدربه على تسوية فراشه بعد النهوض من النوم وتنظيف غرفته.. ورفع الأطباق المائدة وغسلها، ووجد استجابة طيبة منه لمشاركته أعباء حياته فاطمأن جانبه من هذه الناحية بعض الشيء، وواصل الأب عمله الحكومي وحياته الخالية من دفء الحب والزوجة العطوف، وبقي له من طقوس الأيام الجميلة حرصه على قضاء ساعات الصباح يوم العطلة في الشرفة بعد تناول الإفطار مع ابنه وقراءة الصحيفة.. واحتساء القهوة التي لم يعد أحد يستقرئ له طالعه فيها.

وحرصه على أن يدع للابن أن يفعل ما يشاء في يوم عطلته بلا قيود ولا تحفظات.. واستراح حين رآه يضيف إلى مشاغِله في هذا اليوم مع اقترابه من

سن الفتوة أداء التمرينات الرياضية مستخدماً بعض الأدوات الثقيلة.
ويوماً قالت له شقيقته العطوف خديجة: ـ
_ إلام تبقى بغير زواج وأنت في سن الرجولة؟
فاهتز للفكرة اهتزازاً شديداً ورفضها بإصرار مشفقاً على ابنه الوحيد من أن يحس ذات يوم بتراجعه عن بؤرة اهتمام أبيه.. لكن إخوته لم يسلموا بالهزيمة، وانضم إليهم صديقه المقرب عبد العظيم الذي ناقش معه مخاوفه طويلاً من إيلام مشاعر ابنه بزواجه من امرأة أخرى بعد أمه، وهون عليه الأمر واعداً بأن يتولى عنه مفاتحة الابن في ضرورة أن يتزوج أبوه من سيدة تخفف عنهما معاً عناء وحدتهما، وشكر صديقه طويلاً ورجاه أن يؤجل ذلك إلى أن تدعو إليه الضرورة.. وفكر هو أكثر من مرة في أن يجس نبض ابنه تجاه الفكرة الجريئة، فهم أكثر من مرة بأن يسوقها في صيغة تساؤل ضاحك عما إذا كان يزعجه حقاً أن يتزوج أبوه ذات يوم بمن تشاركه الاهتمام بأمره، فوجد نفسه يتراجع في كل مرة في اللحظة الأخيرة!
ثم نهض ذات صباح من نومه منزعجاً بإحساس البلل فهرول إلى الحمام وهو يغالب شعوراً غريباً بالخجل والحرج، وأسرع فألقى بملابسه في الغسالة كأنما يخفيها عن ابنه، وتساءل بعدها هل يستطيع ابن الخامسة عشرة أن يدرك حقاً عمق احتياجه إلى امرأة أخرى في حياته القاحلة؟
وكأنما قد أحست شقيقته خديجة بأن شيئاً ما قد تغير في روحه تجاه فكرة الزواج، فدعته لزيارتها وحده ذات مساء وقدمته إلى جارة لها مطلقة في الأربعين من عمرها ولديها ابنة وحيدة تعيش أبيها، وفهم الإشارة سريعاً فلم يتراجع كما توقع وأمضى وقتاً طيباً يتبادل مع شقيقته وضيفتها الحديث، ثم غادرتهما الضيفة بعد وقت محسوب فقالت له خديجة: طيبة وعاقلة وجميلة ومن أسرة كريمة وتحن إلى الاستقرار بعد ما صادفها من سوء حظ مع زوجها الأول.. فما رأيك؟
فسلم بما في خطتها من حكمة ظاهرة ووعدها بالتفكير جدياً في الأمر.. ولاحقته خديجة في الأيام التالية بالسؤال عما انتهى إليه فكره وشاركها إخوته وصديقه المقرب بالضغط والإقناع حتى سلم بالقبول، ولم يتبق إلا الخطوة الأخيرة والخطيرة وهي مفاتحة ابنه الوحيد في اعتزامه الزواج، وعرض شقيقه الأكبر وصديقه عبد العظيم وشقيقته خديجة أن يتولى أحدهم المهمة، لكنه أشفق على ابنه مما سيشعر به من حرج وألم تجاه الآخرين، وفضل أن يتولى الأمر بنفسه مطمئناً إلى أن ابنه لن يخفي عنه حقيقة مشاعره ومعاهداً نفسه ألا يقدم على الزواج إذا استشعر عمق تألم ابنه للفكرة أو إذا رفضها بعنف وإصرار!
وفي مساء الليلة السابقة زار شقيقته خديجة ووجد عندها جارتها بترتيب مسبق وتحدثا طويلاً عن كل شيء.. ولم تختلف وجهات نظرهما حول شيء، وكان قد التقى بها في الأسابيع الماضية عدة مرات فاستشعر فيها صدق

لهفتها على الاستقرار والنجاح في حياتها الجديدة.. ولمس في شخصيتها انكساراً وطيبة تعلق بهما أمله في أن يكونا بشيراً بعطفها المرتقب على ابنه الوحيد، ثم غادر شقيقته ليلة أمس واعداً إياها بمفاتحة ابنه في الأمر في صباح اليوم التالي وهو يوم العطلة الذي يجمعهما معا طوال النهار.

أفاق من أفكاره على صوت ابنه يقول له: عمتي خديجة على التليفون مرة أخرى يا بابا فأنزل أبوه الصحيفة عن وجهه، وتأمل ابنه باهتمام خفي وهو يرتدي الشورت والعرق يبلل ملابسه وسأله كم الساعة الآن يا هشام؟ فنظر الابن خلفه إلى ساعة الحائط.. وأجابه: الحادية عشرة. فتعجب الأب كيف مضت عليه ساعتان وهو في مجلسه يقرأ الصحيفة ولا يكاد يستوعب منها شيئاً، ثم نهض إلى التليفون متثاقلاً.

وسمع الابن وهو نائم على الأرض يرفع ثقلاً صغيرا فوق صدره صوت أبيه يقول لعمته:

ليس بعد يا خديجة.. ليس بعد. قلبي لا يطاوعني.. نعم.. نعم.. سأحاول مرة أخرى.. شكراً لك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

الغدر يا حبيبي!

هل يمكن حقا أن تتغير المشاعر من النقيض إلى النقيض، هكذا كل يوم وإلى مالا نهاية؟.. وهل قدر عليّ أن أحيا أيامي كلها فريسة لهذه التقلبات الحادة.. أنعم بالحب قليلاً وأشقى بالجفاء والقسوة معظم الأوقات؟.. إن زملائي يقولون لي إنها لا تحبني ولا تراني فتى أحلامها وإنها قبلت بخطبتي لها طلبا للاستقرار أو الزواج كأي فتاة عادية لم تشأ أن تضيع فرصة لاحت لها للارتباط بشاب مناسب، لكن حتى لو كان الأمر كذلك فلماذا تمتحنني بالعذاب كل يوم؟ ولماذا لـم تقل لي بعد فترة من الخطبة إنها فشلت في أن تستجيب لمشاعري أو تتقبلني نفسياً، ولا تريد لنفسها أن تتزوج شابا لا تحبه ولهذا فهي تريد أن يبحث كل منا عن سعادته في اتجاه آخر؟ ولماذا تفضل أن تظل محتفظة بالخيط الرفيع الذي يربطني بها حتى اللحظة الأخيرة، وكلما ضقت بقسوتها وغرورها جذبتني إليها وأنستني بعض معاناتي معها؟.

إن زملائي وزميلاتي في الهيئة التي أعمل بها لا يحبونها، ورغم أنه تجمع مكاتبنا المتجاورة صالة واسعة فعلاقات معظمهم بها متوترة.. وقد قابلوا خطبتي لها بفتور، وقال لي أكثر من واحد منهم إنه يشفق عليّ من غرورها وتناقضاتها فلم أسمـع لـه. أما أقربهم إلى قلبي وهي زميلتي سميحة فلم تكن تكرهها وإن كانت تعيب عليها بعض تصرفاتها.. وقد قابلت خطبتي لها بمزيج من الابتهاج لي والإشفاق عليّ. إنها سيدة فاضلة في الرابعة والثلاثين من عمرها وزوجة وأم سعيدة في حياتها الخاصة، سبقتني في التخرج من نفس الكلية بأربعة أعوام وساعدتني كثيرا في عملي حين التحقت به، وأعطتني خبرتها عن العمل والزملاء الذين نتعامل معهم، فارتحت إليها كثيرا واعتبرتها أختا لي وأمينة لأسراري.. وحين لاحظت ولهي بفتاة القلب "وفاء" نبهتني إلى ضرورة الاعتدال في مشاعري تجاه هذه الفتاة التي تجيد التحكم في مشاعرها ولا تستسلم لعاطفتها أبداً.. وسمعت نصيحتها شاكراً لكني لم أستطع الالتزام بها، فلقد كان حبي لوفاء طوفاناً جارفاً جرف في طريقه كل مقاومة، واكتفيت باستشارتها من حين إلى آخر في تفسير بعض تصرفات فتاة القلب التي بدت لي غاضبة. فلقد فاتحتها بحبي ورغبتي في خطبتها ورحبت بي وشجعتني على التقدم لأبيها، وقالت لي إنها تحبني أيضا، لكن تصرفاتها ظلت متناقضة وغريبة لفترة طويلة تغار من حديثي إلى زميلاتي وخاصة إلى السيدة سميحة وتنهاني عن الحديث مع أي زميلة سواها، وتثور عليّ في نفس الوقت إذا لفت نظرها بإشفاق إلى صلتها الحميمة بأكثر من زميل لنا في الإدارات الأخرى، وخاصة من هم أكبر سناً ومنصباً وتتهمني بالتخلف والجمود وتصرخ فيّ.. كيف تعيش مع صاحب عقلية كهذه العقلية الرجعية؟.. فأتراجع مرغماً وأسحب اعتراضي وهي أيضا تطلب مني الكثير.. وتطالبني بشقة أفضل من الشقة التي أعددتها للزواج مع أنها شقة مناسبة

للغاية وبشبكة فوق قدرتي واحتمالي.. وبإقامة حفل الزفاف في فندق كبير لأنها ليست أقل من أي فتاة في أسرتها.. وفي نفس الوقت تطالبني بتحمل كل تكاليف تأثيث الشقة وحدي ودون أية مساهمة منها أو من أسرتها الكبيرة في الجهاز، سوى بملابسها الشخصية، وتصرخ مؤكدة لي أن هذا هو العرف السائد في أسرتها لإثبات مدى "اعتزاز" العريس بعروسه وليس من عجز أو نقص في إمكانيات أسرتها!

وأستشير زميلتي المخلصة فتنصحني بالرفض، وتفسر لي طلباتها هذه بأنها تشعر بعمق حبي لها ورغبتي فيها، وتريد أن تفرض عليّ كل رغباتها.. وأحاول الاستجابة لصوت الحكمة في نصيحة زميلتي فأجدني عاجزا بعد قليل عن الصمود!. وتمضي الأيام فألاحظ أن فترات صفائنا قليلة وفترات مشاحناتنا طويلة.. وأن مزاجها يزداد عصبية وحدة يوما بعد يوم، وألاحظ تهجمها عـليّ في كل مناسبة دون مراعاة لشعوري أمام أسرتها أو أمام زملائي، فأيأس منها وأرتـد مبتعدا فلا تدعني لنفسي طويلاً، وإنما تطالعني بعد أيام أتجرع خلالها كأس العذاب مترعة بالوجه الباسم القديم الذي جذبني إليها في البداية.. وتشعرني بلفتة أنثوية أخاذة من لفتاتها الساحرة أنها مازالت تحبني.. فأنسى ما تعذبت به وأعود للغوص حتى الأعماق السحيقة في بحر حبها، وتتواصل أيامي متشابهة أنتقل من السعادة إلى العذاب، وتواصل هي التذبذب بين الرضا والسخط إلى ما لا نهاية.. وتكثر أعذارها لرفض زيارتي لها في بيتها أو للخروج معي بعد مواعيد العمل بحجة "الصداع" الدائم الذي يحول بيني وبين أن أسعد بقربها وحبها.

وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد.. فلقد تجاوزت الحدود مرارا في تعاملها معي أمام زملائي.. وأصبحت نظرتها الغاضبة الساخطة تجرحني بينهم حين تلومني بعنف لا يحتمله الموقف على أي كلمة أو عبارة لا توافق هواها.. والزملاء مشفقون.. وأنا محرج حتى نهرتها زميلتي الطيبة سميحة أكثر من مرة.. وقاطعتها تعاطفاً معي.

وفكرت في كلماتها المؤلمة طويلاً، وقررت أكثر من مرة أن أفك عن نفسي أسر حبها.. وبت أكثر من ليلة وأنـا عـاقـد العزم على أن أذهب إلى العمل في الصباح لأقول لها أمام الزملاء: يا آنستي لقد كان "ذنبي" الذي عاقبتني به طويلاً أمام زملائي هو أني أحبك، لكني الآن قد تخلصت من هذا "الذنب" وكفّرت عنه.. ولـم أعد أحبك ولا أريد أن أتزوجك فاحتفظي بشبكتك هدية مني أو رديـها إذا أردت.. لكني أخلع من يدي الآن دبلتك ومعها أخلعك من حياتي نهائيا.

اعتزمت ذلك مرارا وقررت أن أنفذه بهذه الطريقة العلنية وتخيلت نظرات الارتياح والشماتة التي ستعلو وجوه معظم الزملاء والزميلات الذين يكرهون فيه غرورها وتكبرها وتجبرها عليّ.. وتخيلت ابتسامات الرضا والتشجيع التي سيخصونني بها، فِذهبت إلى العمل أكثر من مرة مصمماً على أنِ أنفذ ما

اعتزمته، فما إن أقترب من مكتبها متجهما حتى تحس بغريزتها بما أنتويه ولا تدع لي فرصة لتنفيذه.. وإنما تبادرني بابتسامة ساحرة وتقول لي بصوت رقيق شاك: أهكذا تتركني بلا كلمة واحدة منذ يومين.. وتدعني لقلقي وحيرتي طوال هذه الفترة؟!
ثم تلتفت إلى زملائي وزميلاتي "وتشكو" لهم من "قسوتي" عليها حتى جافاها النوم طوال اليومين الماضيين..! وأسترد ثقتي في نفسي.. وفي "حبها" لي.. وأعيش أسعد لحظات عمري وتخصني الساحرة باهتمامها ورعايتها يوما أو بعض يوم حتى يكاد تشعرني بأنني ملك وبأنها جارية في بلاطي، ثم تعود بعد قليل إلى سيرتها الأولى وتتكرر القصة بنفس التفاصيل. وأشكو لزميلتي الطيبة فتقول لي إنها تلعب بخيوطي كيف تشاء، وكلما شعرت بقرب تحرري من رقها جذبت خيوطي إليها وقربتني منها فأنسى لها كل إساءة! ولم يكن ذلك خافيا عليّ تماما فلقد كنت أعرفه، لكنني عاجز عن التحرر من أسرها.. ومن المؤلم حقا أن يعرف الإنسان "داءه" ولا يستطيع أن يتخلص منه.
وهكذا ظللت أخدع نفسي بحبها إلى جئت هذا الصباح إلى العمل.. ودخلت إلى الصالة الكبيرة التي تجمع مكاتبنا وألقيت تحية الصباح على زملائي، واتجهت بنظري كالعادة إلى مكتبها فوجدته خاليا.. ووجدت بعض الزملاء ينظرون إليّ نظرات غريبة كأنما يعرفون شيئا ما ويخفونه عني، فسألتهم عنها فقالوا لي إنها جاءت للعمل لدقائق وانصرفت. اتصلت ببيتها فجاءني صوت أمها متحفظا يقول لي إنها ليست في البيت ولا تعرف متى تعود. بدأت عملي.. فلاحظت بعد قليل أن جوا من الوجوم يسود الإدارة.. ورفعت نظري من فوق أوراقي فرأيت أكثر من زميل ينظر إليّ، فما إن تلتقي عيوننا حتى يتجاهلني! وتأكدت من أن شيئا ما قد حدث واتجهت إلى مكتب زميلتي المقربة وسألتها عما لاحظته.. فنظرت إلى طويلاً ثم قالت لي والزملاء يتشاغلون عنا بأوراقهم: فلانة تنهي إجراءات سفرها إلى الخارج، وقد قدمت هذا الصباح طلباً للحصول على إجازة دون مرتب.
السفر للخارج؟ وإجازة دون مرتب! خطيبتي ستسافر للخارج بغير علمي؟ لماذا.. وكيف؟
وعرفت القصة التي تحاشى زملائي أن يواجهوني بها حين جئت للعمل هذا الصباح الكئيب.
لقد ركلتني فتاتي الغادرة التي تلاعبت بي شهورا طويلة من حياتها في لحظة واحدة.. وبلا أي إحساس بالذنب تجاهي أو النـدم! لقد ارتبطت بزميل في إدارة أخرى من إدارات الهيئة أعير للعمل في إحدى دول غرب أفريقيا، وهما يستعدان الآن للزواج والسفر خلال أيام.. أما خطبتي لـها فما أهون أمرها وأما قلبي الذبيح فما أهون شأنه.. فشبكتي والدبلتان سلمتها الغادرة لزميلتي الطيبة سميحة، وطلبت منها في كلمات متعجلة ألا أغضب منها لأنها لـم تكن

لي من البداية.. ولم نكن لنسعد معا لأننا شخصيتان مختلفتان.. وإمكانياتي محدودة وهي طموحة ولن تسعد بحياة جافة بسيطة! ثم غادرت المكان بلا وداع وسيعقد القران غدا.. وسيتم السفر هذا الأسبوع.. ولا عزاء للمخدوعين والتعساء!

ظللت أنظر مشدوهاً إلى زميلتي سميحة وهي تروي لي القصة العجيبة بعبارات مخففة.. وتحاول تهوين الأمر كله عليّ.. وتقـول لي إن عليّ أن أشكر الله كثيرا أن أنقذني من الحياة مع إنسانة لا مع تحبني ولا تقدرني ولم تكن مخلصة لي من البداية، وإنما اتخذت من خطبتي وحبي لها وسيلة خسيسة لإشعار "الآخر" بأنه سيفقدها للأبد لكي يتحرك ويتقدم للزواج منها، وسمعت زميلتي تقول لي إنني أستحق فتاة أجمل وأفضل منها، وأنها ستقدمني إلى جارة لها آية في الجمال والأخلاق والمنبت الطيب، وستكون أفضل عزاء لي عما تعرضت له من غدر وخيانة وتلاعب بمشاعري الصادقة من هذه الغادرة، وستثبت لي الأيام أنني قد نجوت من مصيدة كريهة، فخيل إليّ فجأة أن وجه سميحة ينتفخ وهي تحدثني كالبالون ثم يعود إلى طبيعته بعد فترة ثم يرجع للانتفاخ من جديد! ولاحظت بدهشة واستغراب أن شفتيها قد تضخمتا كثيرا كثيرا وهي تتحدث إلى حتى خشيت عليها من الانفجار، وكدت أحذرها من ذلك.. ثم شاهدت فجأة "برصا" صغيرا يسير ببطء وحذر على الحائط خلف رأسها مباشرة.. كأنما يسمع ما تقوله لي.

وهممت بالتحرك لكي أقتله وأبعده عن زميلتي الطيبة.. لكنى عجزت عن الحركة فجأة ووجدت شيئا كالضباب الرمادي الفاتح يملأ الجو أمامي ووجه سميحة يغيب شيئا فشيئا وراءه، فرفعت ذراعي لأنفض هذا الغمام لكيلا يحجب عني وجه زميلتي الطيبة، فسمعت صوتا آتيا من بعيد يقول بفزع: اسنديه يا سميحة قبل أن يقع.. ولم أسمع بعد ذلك ولم أر شيئا! "

طبق الأصل: من يوميات شاب مطعون في قلبه ومشاعره".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لاتنسى!

جميلة كالزهرة الندية.. مغرية كالحلوى المسكرة لكن القلب لـم يهنأ بالراحة رغم المؤهلات. وبعد ثلاثة أعوام من الحب الصافي وجدت نفسها أمام العدم. والعمر يمضي وحبيب القلب يتعثر في ظروفه ويبدو مستسلماً لها.. وأمها تعيرها بصديقاتها اللاتي تزوجن وأنجبن وهي مازالت تتعلق بالأمل الخائب. وأبوها يذكرها بأن قطار العمر لا ينتظر الخائبين.

وفي شدة ضيقها طرقت باب مكتب رئيسها المباشر في الشركة في موعدها الصباحي، ودخلت فرفع إليها رأسه مبتسمًا، لكنه رأى في ملامح وجهها ما يشي بمتاعبها... فخفتت الابتسامة.. وانتظر الزوبعة متوجسا. عريس جديد مرة أخرى. وأزمة عائلية جديدة.. وتساؤل من حبيبة القلب يذكره بعجزه عن حمايتها من الطامعين. تقول له بعينيها كل مرة: متى تستطيع حمايتي.. متى تتقدم.. فيحس القلب بطعنة الألم.. وتفسد الأوقات.

في بداية الحب كانت هذه اللحظات هي متعة اليوم وعزاء المعذب عن تعاسته. نصف ساعة من الزمن لا تزيد، لكنها تعدل الليل كله والنهار. تجلس أمام مكتبه كالوردة المتفتحة.. تنظر إليه بعينيها الجميلتين باسمة. تسأله كيف أمضى ليلته الماضية وماذا فعل.. ومن قابل! تسمع باهتمام يطرب له القلب الحزين. وحتى تفاصيل التفاصيل في حياته العائلية تحب أن تعرفها وتتابعها بنفس الاهتمام. ويسألها هو عما فعلت في يومها فتروي له كل شيء.. حتى لون بيجامتها التي تنام فيها يحب أن يعرفه.. ومنها عرف ألوان بيجاماتها وأحب في الخيال بيجامتها فستقية اللون.

كيف نشأ الحب.. لا يعرف.. وكيف استسلم له.. لا يدري.. لم يكن البادىء بالاقتراب.. لكنها هي التي اخترقت الحواجز بجرأة غبطها عليها. فتراكم الاهتمام والحنان يوماً بعد يوم حتى صار جبلاً من الحب المكتوم. اعترف لنفسه بأنه أسير حبها.. لكنه لم ينطق بما ينوء به قلبه. تعاسته أوضح من أن يحاول إخفاءها.. لكن اللسان عاجز عن التعبير. زوج تعيس وأب لابنتين يقتربان من سن المراهقة وفي الأربعين من عمره.. وهي وردة في الرابعة والعشرين من عمرها فكيف للغريبين أن يلتقيا على شاطىء الأمان؟ لكن فتاة القلب لم ترض بالعجز والسكون.. ويوما دخلت مكتبه في الصباح الباكر ووضعت في يده لفافة صغيرة ففتحها بحذر؛ فإذا بها قلب أحمر اللون جميل منقوش عليه هذه العبارة الساحرة: لا تنسني!

فنطقت الشفاه بالحب المكتوم. وناقشا الأمر بموضوعية وأمل.. روى لها عن عذابه مع زوجته كثيرة الشجار والخصام والهجر.. والتي تجاهره بالكراهية والجفاء، وإشفاقه على ابنتيه العذاب. وسمعت له وعيناها تنديان بالدمع تأثرا بتعاسته. واتفقا على أن ينتظرا الوقت المناسب الذي يستطيع فيه أن ينجو بحياته من هذه التعاسة ويتزوجها.

وأصبح لقاء الصباح القصير مع فنجان القهوة هو واحته التي يستظل بها من هجير تعاسته. ومن حين إلى آخر تروي له عن معركة عائلية جديدة نشبت بينها وبين أبويها حول عريس ملائم رفضته، فينقبض باطنه ويشعر بمسؤوليته عن هذا العناء.. وتروح هي: تخفف عنه إحساسه بالذنب وتؤكد له أنها لن تتزوج إلا من تحب ولو أمضت العمر كله في انتظاره. يقول لنفسه عقب كل محنة: جميلة وطيبة وصادقة الحس وقوية الشخصية وسمعتها لم تشبها شائبة.. فلماذا تحكم على نفسها بهذا العناء؟

وتقول هي لنفسها جاد ومستقيم وإنسان وحتى منافسوه في العمل يعترفون له بأمانته وطهارة يده.. فلماذا يحرم من كان مثله من السعادة والأمان؟

وعقب إحدى الأزمات جاءت إلى لقاء الصباح متورمة العينين من البكاء فسخط على نفسه حتى الموت وقال لها: سأقابل أباك ولو طردني من بيته!

وفى المساء توجه إلى بيتها.. واستقبله الأب بفتور وقال له في طعنات قاتلة: زوج وأب فوق الأربعين وتحرم ابنتي من كل فرصها الطيبة منذ أعوام واقفاً في طريق سعادتها.. فكيف تنتظر مني الترحيب؟ وكيف يكون تصرفك أنت لو جاءك يوماً خاطب في ظروفك لإحدى ابنتيك؟

وغادر بيتها مهزوماً حزيناً.

وفشلت جهودها مع أبيها وأمها في إثنائهما عن موقفهما الحاسم، وانهال عليها شقيقها الأكبر وشقيقتها المتزوجة باللوم والعتاب وشهد مسكنها اجتماعات عائلية خطيرة بلغ التهديد فيها منتهاه.. حتى انفجر شقيقها مصرحاً بأنه سيذهب غدا إلى عملها ويقابل مديره العام مصر ويشكو إليه رئيسها الذي يغويها ويضيع مستقبلها وهو زوج وأب، فلم ينقذها من تنفيذ هذا الوعيد إلا سقوطها مغشياً عليها وسط ذهول الحاضرين.

وفي استسلام حزين قال لها حبيبها في لقاء الصباح بعد أيام: ضميري لم يعد يحتمل المزيد فسامحيني.. لقد قدمت طلباً بنقلي إلى فرع الشركة بالإسكندرية وسأنقل حياتي إلى هناك.

وسألته بإشفاق عن موقف زوجته فأجابها واجـماً بأن ذلك كان مطلبها منذ البداية لتعيش بجوار أهلها، وقد آن الأوان لتنفيذه ليرفع عن حبيبته ما تلاقيه من عناء ثم خانته دموعه فانسابت في صمت.. وجاوبته عيناها بمطر من الدمع الحزين.

واختفى حبيب القلب من مبنى العمل.. وتشابهت الأيام حتى فقدت الإحساس بمرورها. وبعد شهور دعاها شقيقها لزيارته في بيته وقدم لها زميلاً له في العمل، قال لها إنه يرغب في الاستفادة بخبرتها العملية في مسألة تشغله. واستسلمت للمصير، وبعد أسابيع صارحها صديق شقيقها بأنه يرغب في التقدم لخطبتها.. وهمت بأن تقول له شيئا فقاطعها قائلاً:

_ أعرف كل شيء عنك.. ولا أطمع في حبك الآن لكني آمل فيه حين تجمعنا العِشرة وتجدين فيها ما يمسح أحزانك.

وآحنت رأسها شاكرة وحزينة.
ومضت الإجراءات في طريقها المرسوم.. وأبدى خطيبها المهندس الشاب روحاً كريمة واستجابة مرحبة بكل مطالبها. ورحل أبوها عن الحياة في فترة الاستعداد للزواج فوقف خطيبها إلى جوارها في المحنة وأبدى شهامة شكرها له الجميع. وغمرها بعطفه وحنانه وكرمه، فاعترفت لنفسها بأنه يصعب عليها تجاهل مودته لكن ما حيلتها في القلب المحلق في سماء بعيدة عنه. فحتى في اللحظات التي كان ينبغي لها أن تكون سعيدة تتذكر الآخر، وتتذكر القلب الذي أهدته له وعبارته الموحية: لا تنسنى.. وتتذكر يأسه وحزنه فيحن القلب ويرثى له وحين اصطحبها خطيبها إلى معرض الأثاث لتختار أثاث عشها. استغرقت في مناقشة طويلة مع صاحب المعرض ثم التفتت إلى خطيبها فجأة لتستشيره في أمر فرأت وجه الآخر الحزين فوق جسم الخطيب للحظة عابرة حتى كادت الأرض تميد بها.
لكن كل شيء مضى في طريقه المرسوم رغم كل شيء.. وتم الزفاف.. ورمقت عريسها إلى جوارها في الحفل.. ورأت ابتسامته العريضة وسعادته الطاغية فتمنت لو كانت تستطيع مشاركته البهجة والسعادة. وبقلب مخلص دعت ربها أن يوفقها إلى إسعاده جزاء لما قدم لها ولأسرتها من حنان ومواساة وعطف.
وفي الصباح المبكر تنبهت حواسها وهي مغمضة العينين في فراش العرس فقفزت صورة "الآخر" إلى مخيلتها رغما عنها.. وتساءلت ترى هل علم بزواجها الآن؟.. وتساءلت: أين مستقره في هذه اللحظة من الصباح؟
وفتحت عينيها للمرة الأولى فرأت زوجها راقدا في فراشه ثملا بالري والاطمئنان فلم تستطع أن تحدد مشاعرها تجاهه.. هل تكرهه؟ لا تستطيع أن تجزم بذلك، فهو عطوف ومتسامح وراغب في إسعادها والسعادة معها.. هل تنفر منه؟ ليس بالضبط لكنها تضيق قليلاً بتعجله عطاءها له، وقد وعدها من قبل أن يصبر عليها حتى يتم تمهيد أرض القلب وتصبح قادرة على الإنبات من جديد..
فالأرض تحتاج إلى فترة نقاهة.. يتعرض باطنها خلالها للشمس والهواء.. وتصبح صالحة لاستقبال البذرة الجديدة. وهي صادقة الرغبة في العطاء.. لكن أطوار القلب ليست طوع بنانها. وتلفتت بعينيها ترقب غرفة نومها الوردية وبيجامتها فستقية اللون الجديدة التي اختارتها عن عمد، لتمضي بها ليلتها الأولى مع زوجها عسى أن تساعدها على استيعاب الموقف ثم عادت بنظرها إلى زوجها الراقد إلى جوارها وركزت عينيها عليه برهة.. ورغما عنها تراءت لها ملامح وجه حبيب القلب المحكوم بأقداره.. فجفلت لحظة.. ثم رقت مشاعرها وتذكرت القلب المهدي وعبارته الآسرة وفى أعماقها هتف صوت باطني: لتهنأ له الحياة حيث يكون فلقد كان صادق الحب لكن ظروفه أقوى منه.

وانتبهت على حركة طارئة إلى جوارها فرآت زوجها يتقلب في فراشه ثم يستقر وجهه مرة أخرى في مواجهتها فرمقته طويلاً.. ورأت ظـل ابتسامة يرتسم على وجهه وهو نائم فخمنت أنه يحلم حلماً سعيداً لعله يسترجع فيه أحداث ليلتها الماضية.. فـرق قلبها له.. وصدق عزمها على أن تشجع محاولاته للتقرب منها عسى أن تفلح الجهود في تمهيد الأرض المجهدة لاستقبال بذرة جديدة.

ومن أعماقها قالت بغير كلام: إلهي.. لا تطل تمزقي بين نداء الواقع الحاضر وهتاف الماضي الجميل وعجل بإنبات بذور الحب من جديد!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تحت الغطاء!

فتحت عينيها في الصباح الباكر فمدت يدها بتلقائية إلى المنبه الموضوع إلى جوار الفراش ونظرت إليه فوجدت الساعة قبل السادسة بعشرين دقيقة. أعادته إلى موضعه وبقيت في فراشها تستشعر دفء الفراش.. وهدوء الصباح. لا حاجة لها لتعجيل النهوض فالوقت مازال مبكرا.. ومنبهها الداخلي يوقظها دائما في الأيام الأخيرة قبل الموعد المطلوب رغم إجهاد النوم المتقطع والقلق، لم تعد منذ عامين تحتاج إلى صوت المنبه لإيقاظها في الوقت المناسب.. ولم تعد تسمع رنينه عدة مرات وتسكته في كل مرة وتعود للاستغراق في النوم، حتى تفاجأ بيد حانية تهزها برفق فتفتح عينيها لتجد زوجها الذي أيقظها مستغرقا تماما في النوم، فتتعجب لقدرته على أن يوقظها وهو نائم.. وتلقي عليه نظرة باسمة وهي تفكر للحظات هل توقظه الآن لتحرمه من نومه اللذيذ كما أيقظها.. أم تتيح له دقائق أخرى للاستمتاع به.. وينتهي قرارها دائما إلى الإشفاق عليه.. ومنحه فرصة إضافية لمزيد من النوم، وتنهض لدخول الحمام ثم تتجه إلى المطبخ فتضع اللبن على النار وتعد شطائر الجبن والمربى.. وتملأ الزمزمية الصغيرة بالماء المثلج وتطمئن إلى إعداد كل شيء، فتتوجه إلى غرفة طفلتها الصغيرة لإيقاظها، وفي حجرتها يبدأ كفاح كـل يوم مع الطفلة العنيدة لإقناعها بمغادرة فراشها إلى أن تيأس تماما من يوم مع جدوى أي محاولة للبقاء فيه أو عدم الذهاب إلى مدرسة الحضانة، فتجلس في فراشها ساخطة وتشرب كوب اللبن الدافئ بعد محاولات يائسة أخرى لرفضه، ثم تتحرك أخيرا إلى الحمام وتقف متذمرة أمام أمها لتصفف لها شعرها، وتتأوه أو تصرخ احتجاجاً على "قسوة" ماما في تمشيطها، ثم تنفرج الأزمة أخيرا أخيرا مع وضع الفيونكة الملونة في مؤخرة شعرها.. وتسبق أمها إلى باب الخروج حاملة حقيبتها والشطائر وزمزمية الماء المثلج.. وتتقافز على السلم وقد اكتسبت حيوية الأطفال من جديد إلى أن تلحق بها أمها لتمسك بيدها وتخرج بها إلى الشارع في انتظار أتوبيس المدرسة.. وتركب الصغيرة سيارتها أخيراً وتلوح لأمها باسمة.. وتبادلها الأم تحية الوداع.. ثم تعود إلى مسكنها وتبدأ كفاحها الآخر مع الراقد في فراشه وتزيح ستارة غرفة النوم فيغمرها الضوء.. وتدير جرس المنبه وتقربه بحذر من أذن زوجها.. وكلما مد يده بتلقائية ليجذبه منها ويسكته أبعدت يده عنه وهي تتكتم ضحكها.. إلى أن ييأس أيضاً من أي محاولة.. فيفتح عينيه متظاهراً بالاستياء، فما إن يرى ابتسامتها العابثة حتى يغلبه الابتسام فيسألها سؤال كل يوم: ركبت هدى؟ وتجيبه بالجواب التقليدي، فيفكر قليلاً وهو مازال في فراشه ويمسك بيدها ويقول لها كأنها اهتدى إلى فكرة جديدة ستسعدهما معًا:

_ ما رأيك لو اعتذرت عن عدم الذهاب للعمل اليوم وآمضينا الصباح في البيت نستمتع بالكسل والحديث معا؟!.
فتضحك على رغمها للاقتراح شبه اليومي.. وترفع عنه الغطاء فجأة وتسرع بمغادرة الغرفة، فلا يجد مفرا من النهوض، وينهض ويدخل الحمام ويحلق ذقنه ثم تجيئه بالفوطة الكبيرة والملابس الداخلية النظيفة وتساعده في غسل شعره بالشامبو ثم تتركه إلى المطبخ لتعد الإفطار.. ويستسلم هو لماء الدش ويغادر الحمام حليقاً نشيطاً معطراً.. فما إن يراها حتى يقول لها بحيوية وكأنه لم يرها إلا هذه اللحظة.. صباح الخير يا جميل! فترد عليه تحية الصباح باسمة، وقد علمتها العشرة المشتركة بينهما أنه لا يسترد تمام وعيه إلا بعد حمام الصباح.. ويجلسان إلى مائدة الطعام المستديرة يحتسيان الشاي بتلذذ.. ويتبادلان الأحاديث، وهو لا يكف عن مشاغبتها ومشاكستها حتى تغرق في الضحك وتتهمه "بروقان البال" الذي لا مبرر له في هذا الصباح الباكر!.
ثم ينهض لارتداء ملابسه فتلاحقه إلى غرفة النوم وتساعده في ارتدائها.. وترقبه في صمت وهو يتأنق وينفث العطر في وجهه وملابسه فتسأله أحيانًا: لـمن تتأنق هكذا؟ فيجيبها مشاكساً: لزوجتي الأخرى التي في العمل! ثم يتفادى الوسادة الصغيرة التي تقذفه بـها كل مرة بمهارة.. ويطاردها في غرفة النوم ثم حول مائدة الطعام المستديرة معلنا أنه لن يخرج إلى العمل إلا بعد أن يلقى عليها درسا في كيفية معاملة زوجها "باحترام"، وتنتهي المطاردة دائما باستسلامها لقبلته ومساعدتها له في استكمال الأناقة.. وضبط عقدة الكرافت حول عنقه.. ثم يغادر الشقة مودعاً بابتسامتها وواعداً بعدم التأخر في العمل.
لم يكن كسولاً ولا كارهاً للعمل كما يتظاهر.. بل كان نشيطاً وأميناً في عمله ويكافح بإخلاص ليوفر لأسرته مطالبها.. ويعمل ساعات إضافية بعد انتهاء مواعيد العمل ليكسب بعض الجنيهات القليلة، ويصطحب أوراقه معه إلى البيت بعـد العودة وينكب عليها بتركيز شديد، فيجتمع شمل الأسرة الصغيرة كل مساء حول نفس المائدة المستديرة فتجلس هي وطفلتها "هدى" في جانب منها مع دروس اليوم في المدرسة.. ويجلس هو في الجانب الآخر منها مع أوراقه وحساباته.. إلى أن يحين موعد العشاء وتنام الصغيرة بعد أن يغلبها التعب.. فيخلوان لنفسيهما أمام التليفزيون.. أو يتسللان بحرص من الشقة الصامتة بعد أن يحكما إغلاق باب المطبخ ليـزور أسرتها في الشارع القـريب.. أو يتمشيا قليلاً في الشوارع.. أو يشتريا احتياجات الأسرة من البقال والمحلات التجارية القريبة.
كانت الحياة هانئة.. والأيام واعدة بكل جميل.. والحب يرفرف بجناحيه على عشهما الصغير. ولم تكن تعمل.. فقد تفرغت لزوجها وحبيبها وطفلتها بعد الإنجاب.. وحصلت من وظيفتها الحكومية التي تعرفت على زوجها بفضلها على إجازة لرعاية الطفلة. وانتهت الإجازة وحل موعد عودتها لعملها، فأشفق

عليها من عناء العمل مع رعاية الصغيرة وإدارة شئون البيت.. وسألها بإشفاق هل أنت حريصة على وظيفتك الحكومية هذه؟ فأجابته بإخلاص بأنها ليست حريصة على شيء في الحياة سوى حرصها عليه وعلى طفلتها.. ففكر في الأمر طويلاً وذهب لمقابلة رئيسها.. وعاد بعد أيام يبشرها لأنها تستطيع الحصول على إجازة دون راتب لعدة سنوات أخـرى إذا هي عـادت للعمل مدة شهرين، ورجعت لعملها بصفة مؤقتة.. وحرص خلال هذه الفترة على أن يصطحبها إلى عملها في الصباح في سيارته الصغيرة القديمة التي اشتراهـا بميراثه عن أبيه، ويعود في الظهر لإعادتها إلى البيت قبل موعد عودة الصغيرة من مدرسة الحضانة.. وقدرت له كثيرا حرصه على ألا يحرمها من تأمين مستقبلها بمعاشها من الوظيفة الحكومية، وتحملت شهري العمل بصبر إلى أن نجح في الحصول لها على إجازة جديدة. وعادت إلى طبيعة حياتها الوادعة من جديد. وتواصلت الأيام جميلة هانئة، وفي أيام العطلات يصطحبها مع طفلتها بسيارته الصغيرة إلى زيارة شقيقه الأكبر في القرية القريبة من القاهرة ليقضيا الأيـام المشمسة في بيته الريفي الهادئ، وتستمتع هدى بالجري في حديقته أو يصطحبها إلى وسط المدينة فيدخلان مع طفلتهما حفلة السينما الصباحية التي تعرض أفلاما خاصة للأطفال.. ويتناولان الغداء في نادي الشركة التي يعمل بها.. أو يذهبان معا لتناول الغداء في بيت أسرتها التي حظي زوجها لديها بمكانة رفيعة لطيبته وأمانته ورقته في معاملة زوجته.
أما في الصيف فقد كانت إجازته عيدا سنويا تتلهف هي على انتظاره وتستعد لـه استعدادا كاملاً.. وحـيـن يـحين موعد الإجازة ينهضان في الفجر من نومهما ويوقظان الصغيرة.. ينقلان حقائب السفر إلى السيارة القديمة.. ثم تتحرك السيارة في طريقها إلى مصيف الشركة التي يعمل بها والصبح لـم يطلع على الدنيا بعد.. وعـلـى رمال الشاطئ يقضيان أسبوعين ليسا من حساب العمر! ثم يعودان بعد انتهاء الإجازة إلى حياتهما مزهوين ببشرتهما النحاسية الجديدة ودماء الشباب التي جددتها الإجازة على شاطئ البحر ويتعجبان طويلاً للون بشرة طفلتهما الذي تحول إلى السواد الداكن بفعل أشعة الشمس الحارقة.
وقبل العودة لابد أن يتوقف في أسواق المدينة الساحلية ويشتري لها فستانًا جديدا أو حذاء.. أو بلوزة ملونة أنيقة ويسمي ما يشتريه لها "تذكار الصيف".. ويتذكر حين يراها ترتديه فيما بعد بأن هذا تذكار 88 وهذا تذكار 89 وهكذا..
وفي طريق العودة يضع في كاسيت السيارة أغاني عبد الحليم حافظ الجميلة التي يحبها وأحبتها معه... ويسمعها منتشياً ويترنم ببعض مقاطعها ويدمع أحيانًا لأنغامها الحزينة.. فتوقفها على الفور وتضع بدلاً منها تسجيلاً لمسرحية فكاهية.. فيضحك لها على الفور من قلبه وندى الدمع مازال في عينيه.
نعم كانت الأيام جميلة.. والسعادة حقيقية.. والحب واحة للقلب الوحيد، فكيف يا رب ضاع كل شيء في غمضة عين؟ غمضة عين حقيقة لا مجازا..

فلقد كانا عائدين من رحلة الصيف واستسلمت الصغيرة للنوم في المقعد الخلفي على الفور.. وقاومت هي الإرهاق ورغبة النوم لتظل مستيقظة بجانب زوجها الذي يحب دائما أن يكون الجالس إلى جواره في رحلة السفر متنبهاً يبادله الحديث حتى لا تسري إليه عدوى النوم، لكنه لاحظ عليها نعاسها وعجزها عن مقاومته، فاقترح عليها أن ترجع إلى المقعد الخلفي للسيارة، وأن تستسلم للنوم إلى جوار طفلتها حتى نهاية الرحلة، وحاولت الاعتذار عن ذلك لكنه ألح عليها أن تفعل، وأكد لها أنه سيتسلى بسماع المسرحية الفكاهية طوال الطريق.. وتوقف بالسيارة فانتقلت للمقعد الخلفي واحتضنت صغيرتها وتحرك بالسيارة ببطء فاستسلمت بعد لحظات لخدر النوم وراحت في سبات عميق.. كم من الوقت نامت؟ لا تعرف.. لكن ليس طويلاً بكل تأكيد فقد استيقظت بعد قليل على هزة عنيفة طوحتها وطفلتها للأمام بعنف مع صوت ارتطام مخيف فصرخت في هلع.. وازداد هلعها حين رأت مقدمة السيارة مهشمة ومتداخلة مع جذع شجرة ضخمة، من أشجار الطريق وزوجها ملقى على مقعد السيارة وهـو ينزف ويتأوه وتعالى صراخها فجاءها صوته بطيئا خافتا يقول: لها لا تخافي.. لا تخافي.. لم يحدث شيء.. لكن "الشيء" كان قد حدث للأسف وقضى الأمر.. وفعل نزيف المخ الداخلي فعله الأثيم تحت السطح الهادىء دون أن يدري أحد رغم نجاتها وطفلتها من كل أثر سوى خدوش بسيطة.. وفشلت كل المحاولات لإنقاذ زوجها الحبيب من المصير المحتوم، وخلت شقة الحب من ابتسامته الصافية وصوته الضاحك ومناوشاته الجميلة.. واكفهر وجه الحياة فجأة في العش الصغير وتغير كل شيء فيه. حتى نظامه فانتقلت الصغيرة من غرفتها لتتقاسم الفراش مع أمها كل ليلة لتسعفها وتحتضنها مهدئة ومطمئنة حين تباغتها من حين لآخر نوبة الفزع والبكاء المفاجئة أثناء النوم. وطويت "تذكارات الصيف" الجميلة الملونة ونزعت من مكانها في دولاب الملابس إلى حقيبة كبيرة تحت الفراش.. ليتسع الدولاب لملابس أخرى.. سوداء كئيبة.. ولـم يعد الصباح يشهد برنامجه الجميل في الأيـام السعيدة، فلم يعد هناك من يهزها برفق وهو مستغرق في النوم لتصحو ويبقى هو نائما بعض الوقت، وتعود إليه بعد خروج الصغيرة للمدرسة لتناكفه ويناكفها.. حتى يغادر فراشه ويدخل إلى الحمام ثم يخرج منه وسيمـاً جـميلاً معطراً ويحييها تحية الصباح القديمة التي أحبتها: صباح الخير يا جميل!

ولم يعد هناك من يشرب معها شاي الصباح، ويشاكسها ويطاردها حول مائدة الطعام معظم الأيام. لم يعد هناك شيء من ذلك.. فلم يبق إلا الصمت الحزين والكآبة. ولن تبقى لها حاجة أيضا إلى صوت المنبه ليوقظها من نومها فلقد أصبحت تتنبه من نومها وحدها قبل الموعد المحدد بدقائق وأحيانا بساعات رغم الإجهاد والمعاناة والمهدئات التي تتناولها قبل النوم!

وحين تبلغ الساعة السادسة أصبحت هي التي تمد يدها إلى من تشاركها الفراش لتهزها برفق وتدعوها للنهوض فتنهض للعجب بلا مقاومة.. وتستسلم لتصفيف شعرها بلا بكاء وتشرب اللبن دون اعتراض.. كأنما استشعرت بحسها الغريزي أن الظروف لم تعد تسمح لها بالدلال أو بإضافة عناء جديد إلى معاناة أمها كثيرة البكاء! وبعد اصطحابها إلى سيارة المدرسة لم تعد ترجع لبيتها كما كانت تفعل، وإنما تذهب إلى عملها القديم الذي عادت إليه لتواجه بدخلها منه تجهم الحياة بعد رحيل الأعزاء.

ويوماً بعد يوم يتكرر برنامج الصباح الحزين في رتابة فتصحو قبل الموعد بوقت طويل.. وتتمهل في إيقاظ طفلتها الصغيرة لتتيح لها أطول وقت ممكن للنوم، وتستسلم هي في انتظار الموعد لذكرياتها وخواطرها الحزينة.. وتسيل دموعها في صمت وفي مرات ليست قليلة تتشابك لديها الذكريات السعيدة الماضية مع هواجس الحاضر ومعاناة أيامه الكئيبة.. فتضعف مقاومتها فجأة وتستسلم لنوبة بكاء قاهرة تحاول بكل جهدها أن تتكتمها حتى لا توقظ طفلتها الراقدة إلى جوارها.. فتفاجأ بيدها الصغيرة تربت على كتفها بحنان وبصوتها يقول لها في عطف خفي كأنما تتفهم عمق أحزانها:

- معلش يا ماما!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الضيفة الجديدة!

يا إلهي.. طفلة في الخامسة من عمرها في بيتنا؟ من يستطيع أن يتفاهم معها ويرعاها ويتحمل شقاوتها ومطالبها، وليس في بيتنا سوى أم تعدت السبعين وتتناوبها الأمراض، وأعزب مزمن يقترب من السابعة والأربعين مثلي وليس له صبر على عناء تربية الأطفال؟ حتى السيدة التي تساعد أمي في أعمال البيت بعض الوقت وتقوم بنظافته تقترب من الستين ولا طاقة لها برعاية طفلة صغيرة مثلها، فمن يهتم بأمر هذه الضيفة الصغيرة؟ إنها ليست ضيفة عابرة بل عضو جديد في أسرتنا التي تخيم الكآبة على حياتها معظم أوقات اليوم.. وإقامتها سوف تطول بيننا إلى غير حدود.. فمن يقدر على رعايتها؟

هكذا قال "نجيب" لنفسه وهو يجلس في الشرفة يحتسي قهوة الأصيل، ويرقب هذه "الضيفة الجديدة" وهي تجلس في هدوء غريب على طبيعة الأطفال بجوار أمه العجوز أمام التليفزيون في صالة السكن القديم بحي المنيرة. أشعل سيجارته الثانية ورشف رشفة أخرى من فنجان القهوة، وعاد يجتر أفكاره في صمت. بعد قليل سيغادر الشرفة ويرتدي ملابسه.. ويخرج إلى لقاء أصدقائه وسيخلو المسكن على الأم والطفلة من الآن وحتى يعود بعد منتصف الليل فهل تستطيع أمه رعايتها في غيابه؟ وماذا لو بكت الطفلة مـن جديد أو سألت عن أمها وشقيقها وطلبت العودة إلى بيتها كما فعلت منذ دقائق فتحايل عليها بشغلها عن هذا الحديث حتى نسيته؟. إن أمه تنام في التاسعة كل ليلة.. وتتحرك بصعوبة وهو لا يعود من سهرته إلا بعد منتصف الليل، فيجد المسكن صامتاً موحشاً فيستلقي في فراشه يقرأ صحيفة الغد التي يعود بها كل ليلة ويسمع الراديو الخافت إلى جوار فراشه بعض الوقت ثم يستسلم للنوم. أيامه متشابهة متكررة يذهب إلى عمله الحكومي في وزارة الزراعة، ويعـود في الظهر فيتناول غداءه وينام ثم ينهض مع الأصيل ويجلس، في الشرفة بعض الوقت ويذهب إلى أصدقائه في المساء.

هكذا تمضي حياته منذ سنوات طويلة في نظام رتيب لا يتغير إلا يوم الجمعة حين يصحو من نومه فيجد المسكن القـديم يضج بحياة جديدة مع مجيء أخته "خديجة" وزوجها وطفليها ومجيء "رشيد" شقيقه الأوسط وطفليه وزوجته الوديعة سماح فيقضون اليوم في زيارة الأم ويتناولون طعام الغداء في ضيافتها.

ورغم حبه العميق لشقيقته وشقيقه وارتياحه لزوج خديجة وزوجة رشيد فلقد كانت طبيعة الأعزب المزمن فيه تغلبه في معظم الأحيان على أمره، فيبتهج لرؤية شقيقيه وأطفالهما وزوجيهما ويمضي معهم بعض الوقت سعيدا، ثم لا يلبث أن يضيق بصخب الأطفال الذي لم يعتده في حياته الهادئة فيفر منه إلى المقهى. وقد يصطِحب إليه معه رشيد وزوج خديجة فيخلص للحديث معهما

بعض الوقت بعيداً عن بكاء الأطفال ومنازعاتهم. كان زوج خديجة وهو وكيل نيابة قديم يفهم طبيعته جيدا ولا يلومه عليها، لكنه يلومه أحياناً على استسلامه للعزوبية، ويعيب عليه وهو أكبر إخوته أن يتسرب منه العمر بلا زواج ولا إنجاب. أما شقيقته خديجة فعاطفتها العائلية تغمر الجميع بلا استثناء وتخصه هو بحب وعرفان خاصين لتحمله مسؤوليتها بعد وفاة أبيهم.. ولـم تيأس أبدا من أمل إقناعه بالزواج ولا تكف عن ترتيب "المصادفات" العائلية التي تتيح له مشاهدة بعض صديقاتها وزميلاتها في العمل عسى أن يبدي اهتماماً بإحداهن فتنهض لخطبتها له على الفور!
ولم يكن "نجيب" معرضاً عن الزواج بإرادته.. لكن تجربة زواجه الفاشل في بداية الثلاثينيات من العمر قد أورثته مرارة صرفته بعض الوقت عن الزواج، وحين استعاد رغبته فيه صادف رفضاً لم يتوقعه من الفتاة التي تمناها فارتد خائباً.. وتكررت التجربة مع أخرى بعد عامين فعزف عن تكرار المحاولة، وبلغ الأربعين دون أن يتزوج فضاقت أمامه الفرص. وقال لشقيقه رشيد حين حدثه ذات مرة عن الزواج:
_ من أرغبها ترفضني وتعيبني بكبر السن.. ومن تريدني لا أجد في نفسي رغبة فيها.. فماذا أفعل؟
وقد ظل سنوات يعتقد أنه "مشكلة الأسرة" الوحيدة حتى انتزع منه رشيد فجأة قصب السبق بمأساته الفاجعة! فقد ماتت زوجته الطيبة سماح بعد مرض عابر لم يطل أياما، وتركت وراءها طفلين أكبرهما في السابعة وأصغرهما في الخامسة من عمره.. ورحلت الوديعة الهادئة بعد أن بدأت حياتها الجافة بضيق الموارد تترطب بعض الشيء بإعارة زوجها للعمل خبيراً بإحدى الدول الأفريقية قبل شهور، وفي غيبته عن أسرته الصغيرة مرضت سماح، واستنجدت بشقيق زوجها فنقلها إلى المستشفى وضمت خديجة طفليها إلى بيتها فلم تلبث بالمستشفى سوى أيام.. وانتهت حياتها القصيرة فجأة بلا مقدمات.. ووريت الثرى ورشيد في غربته فلم يرجع منها إلا بعد انتهاء كل شيء.. وجاء مذهولاً ومتهدماً لا يصدق نفسه. واجتمعت أسرته بعد انتهاء العزاء في مسكنه تبحث مصير الطفلين الصغيرين بعد رحيل سماح وكانت يتيمة الأبوين وليس لها سوى شقيقة تعيش في أقصى الجنوب مع زوجها.
ولم يكن هناك مفر من أن يرجع رشيد إلى مقر عمله بعـد أيـام ليكمل عامه الأول من الإعارة ثم يسوى أموره هناك ويرجع.. ليواجه مصيره. ولـم يطل التفكير كثيراً في مصير الطفلين، فلقـد عرضت الأم ضمهما إلى بيتها، لكن خديجة العطوف أشفقت عليها من مؤونة رعايتهما في حالتها الصحية وشيخوختها، فأصرت على ضم "وليد" الطفل الأكبر إلى أسرتها وأيدها في ذلك زوجها الطيب بحماس صادق فوافق نجيب مستريحاً إلى حكمة القرار..

وجلس رشيد صامتاً يرقب توزيع طفليه بين أفراد أسرته وقلبه يغص بالألم والمرارة.
وتم تنفيذ الاتفاق بعد أيام قليلة وانتقل وليد إلى بيت خديجة وجاءت "بسمة" الصغيرة إلى بيت الجدة والعم الأعزب، وسافر رشيد إلى عمله حزيناً تائهاً وبكى بكاء مريراً في المطار وهو يعانق شقيقه وزوج شقيقته.
ورجع نجيب بعد توديع شقيقته إلى بيته عند منتصف الليل مكتئباً فأمضى ليلته مؤرقاً. وفي الصباح تبادل مع أمه كلمات مقتضبة على مائدة الإفطار، سألها خلالها عن حال الطفلة فأجابته بأنها نائمة، وقد بكت طويلاً قبل نومها، وألحت عليها بالسؤال عن أمها وبرغبتها في العودة إلى بيتها وشقيقها، فكرر عليها نجيب السؤال مشفقاً: هل تتحملين حقا رعايتها يا أمي وصحتك ليست على ما يرام؟
فأجابته: وماذا لو لم أكن أتحمل ذلك.. أين تذهب هذه المسكينة؟ فلم يحر جواباً ورشف شايه بلا استمتاع وخرج إلى عمله مكتئباً.
وفي الظهر عاد إلى بيته فوجد الطفلة تجلس على أرض الصالة متشاغلة ببناء سور من المكعبات.. وأمه تجلس في مكانها التقليدي على الأريكة المواجهة للتليفزيون، ولاحظ بسهولة آثار "حركة" الطفلة في المسكن الخالي فرأى مفرش المائدة متهدلاً في أحد جوانبه وبعض قطع الورق الصغيرة متناثرة في الصالة ومقعدا من مقاعد السفرة منكفئا ذلك على الأرض. فرفع المقعد وأعاده إلى موضعه وسوى مفرش المائدة وجمع قطع الورق من الأرض.. ثم دخل إلى غرفته فبدل ملابسه وانضم إلى أمه والضيفة الجديدة في الصالة استعدادا للغداء ونظر إلى أمه متسائلاً في همس وهو يومئ للطفلة: كيف الحال؟
فأجابته هامسة: بكت طويلاً في الصباح.. ثم تشاغلت بعد د مع "أم سيد" بأعمال البيت وشاركتها كنس الشقة وذهبت معها إلى السوق!
وجاءت أم سيد بأطباق الطعام فتناولت الأسرة غداءها في صمت واستغرق الغداء وقتا أطول من العادة بسبب تشاغل الأم بإطعام الطفلة ثم رفعت أم سيد الأطباق وغسلتها واستأذنت في الانصراف وهي ترمق الطفلة وتمصمص شفتيها في عطف صامت.
ودخل نجيب إلى فراشه مستسلمـاً لنـوم الظهيرة.. فلم يدر إلا ويد صغيرة تلمس وجهه في شيء من العنف وصوت بسمة يقول له: عمو.. نينه تقول لك اصح!
ففتح عينيه منزعجاً كأنما لـم يعتد يدا أخرى توقظه من نومه سوى يد أمه.. ونظر إليه الطفلة الواقفة إلى جواره للحظات استرجع خلالها المأساة كلها، فسرى في قلبه عطف غامر ومفاجئ كأنما يستوعب الموقف للمرة الأولى. وظل يرقبها للحظات صامتاً ثم ابتسم: فجأة، ومد يده إليها متظاهراً بعجزه

عن النهوض من الفراش وقال لها: اجذبي يدي لتساعديني على النهوض وأريني قوتك!

فتحمست الطفلة للفكرة المثيرة، وأمسكت يده بيديها الصغيرتين وراحت تجذبها بأقصى ما تستطيع من قوة، وهو يتظاهر بالاستجابة تدريجياً لقوة جذب يديها حتى استوى واقفاً فابتهجت الطفلة وابتسمت، وقال لها وهو يمسك بيدها خارجا من غرفة نومه: لـم أحسبك "قوية" هكذا!

وفي المطبخ صنع قهوته وهي إلى جواره.. وصنع كوبين من عصير الليمون وحمل الصينية إلى الصالة، فقدم كوبا إلى أمه وأشار للآخر لكي تساعد بسمة على احتسائه.. ثم حمل قهوته إلى مجلسه التقليدي في الشرفة.. وراح يراقب الطريق شاردا.. ومن حين إلى آخر ينظر إلى الصالة فيرى بسمة تجلس إلى جوار أمه "تكافح" مع كوب الليمون وجدتها تراقبها باهتمام خوفاً من انسكاب المشروب على ملابسها حتى انتهت من احتسائه بسلام.. ثم تدلت بسمة من الأريكة ببطء لتضع الكوب بحرص على المائدة ورجعت إلى مجلسها بجوار الجدة العجوز على المائدة و وراحت تنقل بصرها بين شاشة التليفزيون.. وبين عمها ساهماً في الشرفة يفكر في أمرها وأمر أخيه المنكوب.. وأمره هو المهموم بما جرى لأسرة شقيقه.. وبسنوات العمر التي مضت بددا دون أن يتزوج أو ينجب، وكلما التقت عين الطفلة بعينى عمها ابتسمت له ابتسامة خجول لا تخلو من انكسار غير مفهوم، كأنما تستشعر بطريقة غامضة مأساوية الموقف فيبادلها نجيب ابتسامتها بابتسامة عريضة صادقة يحاول أن يدفع بها عنها وعن نفسه الحزن.. والقلق.. والخوف من المجهول!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

لحظة ضعف!

_هذا هو رأيك النهائي؟
_نعم.. النهائي..
ألا تفكرين مرة أخرى؟
_فكرت طويلاً ولم أجد مفرا من ذلك رغم مرارته.
_ألا تحبين طفليك كما أحبها.. ألا تخافين عليها من المستقبل المجهول؟!
_أحبهما وأخاف عليهما أكثر منك.. لكن ذلك لن يجبرني على قبول مالا أريده لنفسي!

وحملت حقيبتها الصغيرة في يدها.. وقبلت طفليها | ورفضت بإصرار مطلبهما بمصاحبتها في "الزيارة" العائلية التي زعمت أنها ذاهبة إليها، ورفضت عرض زوجها بتوصيلها بالسيارة إلى بيت أبيها.. وغادرت الشقة متماسكة أو متظاهرة بالتماسك.. فخرج إلى الشرفة ليرقبها، وهي تغادر العمارة.. ورآها تقف في الطريق في كبرياء تنتظر سيارة أجرة، وأمل أن ترفع عينيها إلى الشرفة لتودع طفليها، لكنها لم تفعل وظلت واقفة في جمود في مكانها حتى ركبت سيارة الأجرة وتحركت بها.

وعاد حسين إلى داخل الشقة مهموماً يفكر فيما ينتظر طفليه من عناء.. عنيدة كالبغل.. إذا تسلطت عليها فكرة فهيهات أن ينجح أحد في إقناعها بعكسها.. وبسبب هذا العناد نفسه أحبها وتمسك بها وبسببه أيضا تتحطم الآن حياتهما.

كانا زميلين في الكلية.. تخرجا متفوقين وتمت خطبتهما ودرسا للماجستير في الهندسة معا، وعملا في مكتب أستاذهما الاستشاري وتعلقا بالأمل في مساعدة أستاذهما لهما للتعيين في الكلية كمعيدين.. والحصول على الدكتوراه تحت إشرافه.. لكن الأستاذ لسوء الحظ طلق زوجته بعد خلافات دامية معها.. وأبدى اهتماما خاصا بتلميذته الجميلة الذكية، فبدأ ينسج شباكه حولها ويوسوس لها بفسخ خطبتها لهذا الشاب البسيط الذي لا يملك لها شيئاً، ويغريها بما يمكن أن يضيفه إليها زواجها منه.. ستعين معيدة بالكلية.. وستحصل على الماجستير والدكتوراه بمساعدته وستقيم في شقة فاخرة تطل على النيل.. وستصبح أستاذة جامعية و.. و..... و.. لكنها لـم تتأثر بكل هذه الإغراءات وتمسكت بحبيبها المكافح الذي تركب معه الأتوبيس والذي لا يعدها زواجها منه إلا بحياة بسيطة.

وضاق الأستاذ بعناد تلميذته فتحول بضغوطه إلى تلميذه الشاب وحاول إيهامه بأنها ترغب في فسخ خطبته لتتزوجه، لكنها تتحرج من نقض عهدها معه إشفاقاً عليه.. ولذلك فمن واجبه أن يضحي بنفسه من أجل سعادتها التي يحرمها منها "بأنانيته"! واهتز الشاب أمام ضغوط أستاذه.. وساورته الشكوك في خطيبته لكنه دافع عن حبه باستماتة وصارحها بما يتعرض له من أستاذه

وبمخاوفه من اضطهاده لها.. لكنها هزت كتفيها باستهانة وأبلغته بقرارها بالتوقف عن العمل في المكتب الاستشاري والتنازل عن حلم العمل كمعيدة، وتركت له حرية اتخاذ القرار المناسب بشأن عمله ومستقبله، ولم تضيع وقتاً.. وامتنعت بالفعل عن الذهاب إلى العمل وسعت بمساعدة أبيها للحصول على عمل جديد، وعملت في مكتب استشاري آخر.. وواصل خطيبها العمل مع أستاذه بنصيحة منها حتى يستطيع الحصول على الدكتوراه ولكيلا يخسرا معا حلمهما دفعة واحدة.. لكن الأستاذ لم يدع له فرصة للاستمرار وكثرت مضايقاته له فانسحب.. وبعد قليل قبل وظيفة في إحدى شركات المقاولات، وتنازل عن حلم العمل بالجامعة إلى الأبد.. وتزوجا وسعدا بحياتهما معا وأنجبا طفلين، ومضت بهما سفينة الحياة.. فتحسنت أحوالهما بكفاح السنين واستقرت فتاة الأحلام في وظيفة مناسبة وتقدم هو في عمله.. وغير مسكنه واشترى سيارة، وبإرادة من حديد أصرت على أن يكملا دراستهما للماجستير التي توقفت بسبب ضغوط أستاذهما السابق، وحصلا عليه معا، وبدأ دراسة الدكتوراه تحت إشراف أستاذ آخر.. وحددت له هدفها في أن يفتتحا معا ذات يوم قريب مكتبا استشاريا خاصا بهما، وثقلت أعباؤها العائلية بسبب الطفلين والعمل ودراسة الدكتوراه، فاستعانت بمربية لطفليها، لكن ذلك لم يخفف كثيرا من متاعبها، ففكرت في الأمر بهدوء كعادتها ثم خرجت عليه بقرارها وهو أن تؤجل دراستها للدكتوراه إلى أن ينتهي منها حبيبها، فيستطيع أن يتفرغ بعض الوقت لرعاية الطفلين ثم تواصل هي دراستها، وحاول أن يقنعها بألا تضيع فرصتها لتحقيق الحلم القديم رافضاً تضحيتها بأحلامها من أجله، لكن هيهات أن يستطيع أحد أن يغير قراراً استقرت عليه إرادتها.. وحثته على مواصلة دراسته وهيأت له الجو المناسب.. وساعدته في جمع مادته العلمية ونسخ ما يحتاج إليه من معلومات حتى آمن في أعماقه بأن دورها في حياته أخطر مما يتصور أحد.. وحين نوقشت رسالته وأعلنت اللجنة المختصة فوزه بالدرجة العلمية.. صرخت من الانفعال والابتهاج فلم يتردد في أن يقبل يدها أمام زملائه وأساتذته.. ولولا الحرج لاحتضنها وقبّلها أمام الجميع عرفاناً وحباً.

وبإصرار من جانبه هو هذه المرة قرر تأجيل مشروع المكتب الاستشاري إلى أن تنتهي من رسالتها ليستطيع مساعدتها كما ساعدته وليتوفر له الوقت الكافي لرعاية طفليه وأسرته.. كانت الحياة تمضي جميلة وسعيدة ومعطرة بعبق الحب والكفاح وتبادل التضحيات..

فكيف تعكر صفوها؟.. وكيف انتهى به الحال واقفاً في الشرفة يرقب سيارة الأجرة وهي تمضي بها بعيداً، وطفلاه بجواره يسألانه متى ستعود ماما، وبين لحظة وأخرى سيأتي شقيقها لينقل أثاثها من عش الحب القديم ويطلب منه ببرود تحديد موعد إجراء الطلاق؟ أمها هي السبب الكامن.. لم ترحب به من البداية.. وكرهته بلا سبب سوى أنه شاب بسيط بلا إمكانيات ولامتها كثيرا

لرفضها أستاذها الناجح الثري وسألتها مستنكرة: كيف ترفض السكن على النيل والسيارة الفارهة.. والملابس الفاخرة.. والسفر إلى أوروبا.. وفيلا المصيف على الساحل الشمالي.. من أجل هذا الشاب "الخائب" لكنها لم تتزحزح عن موقفها.. وتحمل هو صابراً جفاء أمها وكراهيتها الصامتة له.. وتغاضى عن دسائسها لـها ضده حتى بعد أن أنجب طفلين ولم يعد هناك أمل في تراجع ابنتها. وبسبب إحدى هذه الدسائس نشب أول نزاع جدي بينهما حين شككتها في إخلاصه لها وشككتها في طول ساعات غيابه عنها، بينما هي حبيسة بيتها لرعاية أطفاله والإعداد لرسالتها التي أجلتها من أجله، وفي إحدى منازعاتها قالت لـه بعناد: ضحيت بالكثير من أجلك وأتحمل كل شيء منك إلا شيئاً واحدا هو الخيانة.. فإذا تأكدت منها لا رد عليها عندي سوى الانفصال.. أنت تعرفني جيدا فلا تفقد ثقتي.. وقبلها مؤكدا لها وفاءه، لكن بذرة الشك كانت قد غرست في قلبها.. كل يوم تنقل إليها أمها عبر التليفون دسيسة جديدة.. زوجك المحبوب شوهد ومعه فتاة جميلة في السيارة، وقال زملاؤه إنها زميلته وتركب معه كل يوم ليوصلها إلى بيتها!

وكانت أزمة جديدة انتهت بأن أقسم لها أنه لن يفعل ذلك مرة أخرى.. زوجك المحبوب حضر عيد ميلاد زميلته الفاتنة، مع عدد من الزملاء ولاحظ الجميع ما يجمع بينهما من ود واهتمام! وكانت أزمة أخرى.. ثم تسممت الحياة بالشكوك والظنون وأصبحت فترات الشقاق أطول من فترات الصفاء.. وتجلى عنادها المألوف في رفضها تصديق مبرراته وحججه، فضاق بكل شيء وثار عليها وردت على ثورته بأعلى منها، وتكررت مصادماتهما حتى أصبحت أمرا مألوفا في حياتهما ولدى الجيران والطفلين.. وفي إحدى هذه المصادمات جرحت كرامته فصفعها، فهجمت عليه كالنمرة تريد أن تنشب فيه أظافرها فردها عنه وغادر البيت ساخطا.. وعاد فوجدها قد أخرجت بيجامته من غرفة نومها وأغلقت بابها بالمفتاح، ونام ليلته في حجرة الطفلين.. واستقر الجفاء الصامت بينهما.. واستقلت هي بغرفة النوم وقاطعت مائدته وكل شئونه.. وانتظر أن تمر هذه السحابة كغيرها، لكنها طالت على غير العادة.. ولـم تبد زوجته أية إشارة لميلها إلى الصفح أو النسيان، وعـاد من عمله بعد الظهر فوجدها جالسة إلى مكتبها الصغير تراجع أوراق رسالتها.. فاقترب منها برقة وقال لها: ألـم تنسي ما حدث بعد؟ فرفعت إليه عينيها صامتة ثم قالت: نعم نسيت ولهذا أريد الطلاق!.

ولمعرفته بشخصيتها العنيدة وبأنها لا تلقي الكلام جزافاً خفق قلبه خفقة مؤلمة.. وقال لها فزعا: الطلاق؟ هل جننت.. وحبنا.. وحياتنا وأحلامنا المشتركة وطفلانا؟ فلم تهتز رموشها لما قال ولـم تجب عن تساؤلاته سوى تساؤله عن الطفلين فقالت: سأصطحبهما معي إلى بيت أبي وسأرعاهما وستراهما حين تريد.

فتمسك بآخر أمل لديه في إيقاظ مشاعرها القديمة وقال لها متظاهراً بالعناد: لن يحدث هذا أبدا وأنا علي قيد الحياة.. لن يغادر طفلاي بيتي.. فإذا شئت الطلاق فإني لن أحرمك منه أما الطفلان فشيء آخر.
وتعلق أمله في تراجعها عن هذا الخراب بالطفلين، لكنها قالت له بثبات وكأنها كانت تعرف مسبقاً بما سيفعل: أنت لن تستطيع رعايتهما وحدك ولا بمساعدة المربية لكنك تريد أن تلوي بهما ذراعي.. وسأريحك وسأدعهما لك لتعرف أنني لن أعيش معك رغما عني من أجل أولادي!.
وحددت له موعد مغادرتها للبيت بعد أيام بأعصاب بـاردة كأنما تتحدث عن شيء عادي من شئون حياتهما اليومية..
واضطربت حياته اضطراباً شديداً.. وحاول مناقشتها في قرارها لكنها لم تتزحزح عنه واستعان بأبيها وشقيقها عليها فباءت جهودهمـا بالفشل. ثم حان موعد الفراق.. وانتهت من ترتيب حاجياتها وهو يتوقع كل لحظة أن تضعف أو تلين ولكن بلا فائدة.. بلا فائدة.. لحظة واحدة فقط بدت فيها لمحة من لمحات فتاته القديمة وزوجته المحبة السابقة حيث غلبته همومه وهي ترتب ملابسها وترفض كل توسلاته فقال لها:
لا يمكن أن يكون عنادك هذا بسبب شكوك في إخلاصي أو منازعات بيننا.. أو صفعة صفعتها لك في لحظة غضب.. صحيح يا لغبائي إن المرأة لا تضحي بأطفالها من أجل أسباب كهذه.. لكنها قد تضحي بهم وبحياتها الزوجية أحيانًا من أجل شيء واحد فقط هو رجل آخر!.
نعم هناك رجل آخر.. فكيف غاب عنى هذا السبب "الحقيقي"!.
كانت لحظتها تضع آخر ملابسها في حقيبتها فرفعت إليه رأسها بعصبية شديدة.. وهمت بالتحرك إليه كأنما تريد أن تنشب فيه أظافرها كما أرادت أن تفعل في مرة سابقة.. وتضرج وجهها بالاحمرار والانفعال الغاضب وفتحت فمها لتتحدث. ولكنها استعادت هدوءها بغتة، ونظرت إليه في ازدراء صامت وأغلقت حقيبتها!.
فنظر إليها مذهولاً.. وسألها: ماذا كنت تريدين أن تقولي؟ فرفعت حقيبتها والتفتت إليه قائلة: كنت أريد أن أقول لك شيئا.. لكني غيرت رأيي لأنك لا تستحقه!
ثم تحركت في اتجاه الباب.
واستعاد هذا المشهد طويلاً وهو يقف في الشرفة يطل على الشارع المزدحم الذي اختفت منه سيارة الأجرة وتركز عليه أمله.. لقد ضعفت للمرة الأولى منذ نشب هذا النزاع السخيف حين اتهمها بعدم الإخلاص للحب.. وكادت تسبه وتلعنه وتذكره بأنه الحب الوحيد في حياتها.. لكن كبرياءها وعنادها حالا بينها وبين ذلك.
لقد كانت أول لحظة ضعف تبديها منذ فسدت الحياة بينهما في الأسابيع الأخيرة.. والضعف دليل أكيد على أن الحب لـم يمت ومازال يدب فيه نبض

الحياة.
نعم.. نعم.. لم يمت الحب ولن يموت لكنها عاصفة شديدة من عواصف الشتاء لن تلبث أن تنتهي مهما اشتدت قسوتها.. ولهذا فلن يطلقها.. ولن يلوي ذراعها وسيذهب إليها ليعيد إليها طفليها بل ويرجوها أن تعود إلى بيتها، ولتعيش مع طفليها على أن يرحل هو عنه ويعيش مع والديه إلى أن تهدأ النفوس.. وحتى لو تمسكت بالطلاق فسوف يفعل ويرجوها ألا تغادر بيتها واثقا من أن نبض الحب سوف يستعيد عافيته وفتوته السابقة مع تباعد ذكرى الشقاق.. وهدوء الأحوال.

وانفلت عائداً من الشرفة فقال لطفليه منفعلاً ارتديا ملابسكما بسرعة سنخرج للذهاب إلى ماما في بيت جدكما!.

وصاح الطفلان بابتهاج فشاركهما بهجتهما وهو يخفي دمعة ساخنة تسربت من عينه رغماً عنه!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

جلسة مريحة!

كان جالساً في مقعده المريح أمام التليفزيون بعد تناول الغداء يشرب الشاي ويدخن ويتابع الحلقة الأجنبية باهتمام متقطع.. يعيش مع أحداثها المثيرة لحظات ثم يغيب عنها بذهنه لحظات أخرى قبل أن يعود لمتابعتها. على مسافة ليست قريبة منه جلست زوجته تتابع أحداث نفس الحلقة وهي ترشف الشاي في صمت. وبين المقعدين جلس على الأرض ولد في الثامنة من عمره وبنت في السادسة يتلهيان ببناء سور من المكعبات الصغيرة ويتبادلان الحديث الخافت بين حين وآخر.

استراحة قصيرة من عناء الحياة تعقب الغداء اعتـادا عليها منذ أيام زواجهما الأولى.. ولكن شتان بين هذه الجلسة الصامتة وجلستهما في تلك الأيام البعيدة.

كانت أيام البهجة والاستمتاع بكل كلمة أو إشارة.. وكانت العيون ضاحكة والشفاه باسمة.. والأجسام والأنفاس متقاربة.. ومن حين لآخر تميل عليه وتهمس له بكلمة تلمع لها عيناه.. أو يميل هو عليها ويهمس لها بكلمة تشيع السرور في ملامح وجهها. ولم يكونا عاشقين لكنهما كانا راغبين في السعادة والاستمتاع بالحياة.. ويبذلان كل جهدهما لتحويل زواجها التقليدي إلى زواج متوهج بالحب والعاطفة.

التقيا في حفل زواج صديق مشترك لأسرتيهما. أشار صديقه وهو إلى جوار عروسه ناحيتها وقال له باسمـاً: لا تدعها تفلت منك فهي عروس ممتازة لك.. جميلة ورقيقة ومتزنة وأسرتها طيبة، فتابعها بعينيه طوال السهرة ووقعت من نفسه موقعاً طيباً.. وبين فقرات الحفل صعد إلى صديقه في "الكوشة" وطلب منه أن يساعده في التعرف عليها فلم يتردد، واستبقاه إلى جواره وأشار لأخته أن تستدعيها فجاءت باسمة وقدمها إليه بكلمات طيبة وغمز لصديقه بعينيه كأنما يقول له: الباقي بعد ذلك يتوقف على شطارتك!.. فلم يضيع الفرصة وافتعل حديثا طويلاً معها عرف منه عملها، ونوّه خلاله أيضا عن عمله وأسرته واستمعت إليه بلا ضيق، ثم استأذنت منه وعادت لصحبتها تاركة في نفسه أثرا جميلاً. قال له الأصدقاء مرارا إنه لن يتزوج إلا بهذه الطريقة التقليدية فسلم بحكمتهم بعد مقاومة طويلة.

كان يريد أن يلتقي بفتاة لا يعرفها فينجذب إليها.. وينشغل بها ثم يصارحها بحبه وتفاتحة بمشاعرها ويختلسان اللقاء والأحاديث التليفونية الطويلة، وينامان كل ليلة وصوت الآخر وصورته في مخيلته. ثم تعترض قصتهما العقبات فيتقدم لخطبتها شخص ممتاز من كل الجوانب وترحب به أسرتها، لكنها ترفضه إيثاراً لحبيبها وتهرع إليه جازعة وتسأله ماذا سنفعل، إنني لا أستطيع أن أتخيل نفسي زوجة لأحد غيرك؟ فيقول لها منفعلاً، إنه لن يتنازل أبداً عن حلمه في الزواج منها ولـو حـارب الدنيا بأسرها من أجلها! ثم يذهب

من فـوره إلى أبيها ويطلب يدهـا، فيعتذر الأب لارتباطه مع آخر، لكنه يتوسل إليه ألا يحطم قلبين يتطلعان للسعادة معا، ويستشهد على صدقه بابنته فتجيء إلى مجلسها بالصالون وتحسم الموقف، وتعلن بشجاعة أمام أبيها أنها تحبه ولن تتزوج سـواه فيستشيط الأب غضباً ويرفض هذا العبث ويحرم عليه رؤيتها أو الاتصال بها، لكنه يلين بعد حين ويغلب الحكمة على الغضب خاصة أن ابنته تذبل وتنزوي حزنا فيستدعيها أبوها ويبشرها بموافقته على زواجها منه بالرغم من أن إمكاناته المادية أقل كثيرا من الآخر ويتزوجان ويعيشان قصة حب لا تنتهي.

فات أوان الأحلام.. بعد أن ضيّع الحب الحقيقي من يديه بتقاعسه التمسك به والكفاح للارتباط بفتاة القلب التي أحبها في الجامعة. كانت ظروفه غير مواتية وهي متعجلة فلم تصبر طويلاً، ولم يقاتل هو لإقناعها بالمقاومة والصبر فتزوجت وشغلته الحياة حتى بلغ الخامسة والثلاثين ولـم يلتق بمن يحبها مرة أخرى ويحقق معها أحلامه، عرف أخريات لكن القلب لـم يضعف أمام إحداهن.. فسلم برأي الأصدقاء في عدم انتظار الحب، وراح يلبي كل دعوة عائلية واجتماعية باحثاً عن شريكة حياة بالطريقة المألوفة. وأعجبته فتيات عن فلم يجد لديهن استجابة. ورحبت به فتيات لم يشعر تجاههن بميل إلى أن حضر زفاف صديقه ورأى هذه الفتاة فيه ومال إليها وأحس بعدم نفورها منه. وفي اليوم التالي زار صديقه حاملاً هدية مناسبة ومهنئاً فوجدها عنده لنفس الغرض فواصل اقترابه منها.. وتلقى إشارات مطمئنة من صديقه فتشجع وتقدم بعد أيام لخطبتها ومضت الإجراءات في طريقها المرسوم.

كانت مثله قد رست على شاطىء الواقعية قبل عدة شهور ويئست من انتظار الحب وسلمت بضرورة الزواج من إنسان تحس بأي درجة للميل إليه وعدم النفور منه.

فات أوان الحب أيضا في حياتها وتراجعت ذكرياته الجميلة. في الجامعة عرفته ولفت انتباهها بوسامته ومرحه وشخصيته الجذابة فخفق له قلبها للمرة الأولى في حياتها، رأته محاطا دائما باهتمام الزميلات.. فتوارت في الصفوف الخلفية يائسة من لفت انتباهه.. تنبه إلى نظرتها الناطقة بالحب وخصها بالاهتمام فأحست له بامتنان شديد. لم تلتفت إلى تحذيرات زميلاتها من ميله الواضح لتجميع القلوب حوله فانهدمت حصونها أمامه وأحبته بلا مقاومة.. وتغاضت عن خياناته ونزواته آملة أن تستقر سفينته في مرفئها وحدها في النهاية.. أعانها على الأمل في ذلك ما أبداه دائما من حرص غريب على ألا يفقدها رغم شروده أحياناً مع الأخريات، فآمنت في قرارة نفسها بأنه إنما يعبث معهن "ويجدّ" معها وحدها! لكن السنوات مضت وتخرجا في الجامعة دون أن يتقدم خطوة واحدة في الطريق الجاد.. وعملا فلم يتقدم خطوة جديدة وصارحته بما تعانيه من أهلها لرفضها من يتقدمون إليها، فنصحها بفتور بأن تقبل ما تراه في مصلحتها، لأن طريقه لا يزال طويلاً ثم

غاب عن ناظريها، فترة.. وعاد ليودعها قبل هجرته للخارج متمنياً لها السعادة في حياتها! رغم الآلام لـم تكرهه.. حنقت عليه.. اغتاظت منه.. اتهمته بعدم تقدير مشاعرها، لكنها أبدا لـم تكرهه وربما التمست له العذر أحيانا في ظروفه غير الملائمة.. ولعامين طويلين روادتها أحلام غامضة بأنه سيعود بطريقة ما ويكمل معها القصة الناقصة. لكن الأيام مضت دون أن يراسلها مرة أخرى أو يفتح لها أي باب للأمل.. سلمت في النهاية باختناق الحلم.. وأعلنت لأسرتها موافقتها على الزواج ممن يتقدم إليها إذا كان ملائماً. وبعد عام من ذلك تقدم إليها زوجها ووجدت فيه أقرب الصور إلى ما تخيلته في شريك حياتها فرحبت به بلا تحفظ.

وكانت البداية مبشرة وواعدة بتحقيق الحلم في أن تنسج العشرة خيوط الحب المفقود.. وهو لطيف وصادق الرغبة في الاستقرار مثلها وهي متزنة وهادئة، فلم تبق إلا شرارة الحب لتكتمل السعادة.. وفي أيام الزواج الأولى بدا لكل من يراهما أنهما عاشقان يتبادلان أنخاب الحب كل لحظة. لكن بعد مجيء الطفلين ظهرت على السطح الخلافات المألوفة والمشاحنات التقليدية، فلم ينزعجا لذلك واعتبراه من سنة الحياة ثم كثرت وتوالت، واكتشف كل منهما تصلب الآخر وعناده، واعتادا عقب كل خلاف أن يتجنب كل منهما الآخر لفترة طويلة يخيم خلالها الجفاء بينهما ويستقر الصمت. ربما لا يسىء أحدهما للآخر بكلمة جارحة ولا يفكر في هدم عشه معه ولـم يهجر أحدهما البيت غاضبا، لكنه أيضا لا يبدأ بالاقتراب من الآخر ولا يحاول استرضاءه بكلمة رقيقة أو بلمسة حب، فتطول فترات القطيعة الصامتة بينهما لأتفه الأسباب ويستقر الجفاء. وفي هذه الفترات الكئيبة يستسلم كل منهما لفكرة عجيبة تبدو له كالحلم الذي يتخفى به عن الآخرين فيقول لنفسه: لو كان الحب طائرا يغرد في عشنا لما كانت هكذا حياتنا.. ولما استغرقت فترات الجفاء الصامت معظم أوقاتنا. ربما تصايحنا.. ربما تبادلنا الإهانات الجارحة في بعض الأحيان.. بل ربما تضاربنا ومزق كل منا ملابس الآخر في قمة الانفعال، لكن قطيعتنا رغم ذلك لم تكن لتطول ولم نكن لنصبر عليها.

فمع أول بادرة للاستعداد للنسيان كان أحدنا يسارع إلى احتواء الآخر في صدره باكيا ومعتذرا ولاثما اليد والثغر والرأس.. ثم يكون الصفاء شهيا كالعسل بعد الخصام. وحين يصل كل منهما في أفكاره إلى هذا الحد فإنه رغماً عنه... رغماً عنه تقفز صورة الحب القديم إلى مخيلته فيتخيل لو كان هو أو هي شريك حياته الآن، ويسلم بينه وبين نفسه بأنه لو كان كذلك لبادر هو بالاقتراب ولثم اليد وتقبيل الخد اعتذاراً وحباً. وليس نادراً في مثل هذه اللحظات أن يختلس أحدهما النظر إلى الآخر في جلسة بعد الغداء، ويتأمل وجهه المقطب الصامت خفية ويتساءل في باطنه:

ترى ماذا يحدث لو كانت "الأفكار" تتراءى أمام أنظار الآخرين كما تتراءى أمامنا الآن مشاهد هذه الحلقة الأجنبية؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سجن الليل!

تردد بعض الوقت في قبول دعوة زميله لحضور احتفاله بعيد زواجه الثالث لسطحية علاقته به.. ولارتباطه أيضا بموعد مقدس كل مساء لا يتخلف عنه، لكن شيئا ما دفعه للاستجابة في اللحظة الأخيرة.. توجه إلى بيت الزميل حاملاً علبة التورتة وتوافد الزملاء وزوجاتهم فساد المكان جو المرح، تعزى ببهجة الحفل قليلاً عن افتقاده لسهرته اليومية مع رفاق المقهى وسهرة لعب الورق التي تليها في بيت أحدهم. ليل الأعزب الوحيد سجن تفتل قضبانه من خيوط السأم والوحدة وفقدان الرفيق.

أصدقاء المقهى.. أصدقاء وليسوا أصدقاء في نفس الوقت، عرف الطريق إليهم حين نقل إلى الإسكندرية من القاهرة منذ سنوات وضاق بوحدته فيها.. قدمه لهم زميل له بالعمل فانضم إلى الشلة متلهفا على اكتساب الصداقات.. واكتشف بعد قليل أنهم يتسللون من المقهى في التاسعة بأعذار مختلفة، وهم يتهامسون أو يتبادلون الإشارات المبهمة. سأل زميله فعرف منه أنهم يتجمعون في المقهى من السابعة حتى التاسعة مساء ثم يتسلل خمسة أو ستة منهم إلى بيت أحدهم، فيبـدأون سهرة أخرى مع الورق تمتد حتى الفجر. الورق رفيق الوحدة والسأم وشريك من لا شريك له في الحياة. رحب بالانضمام إليهم واكتشف بعد أن اندمج في حلقتهم شخصيات أخرى لهم لا تتكشف إلا على مائدة اللعب. ميولهم العدوانية وغرائزهم البدائية تنطلق على سجيتها مع الاندماج في اللعب فتعبر عن نفسها بلا ادعاء.. عرف بينهم الكاذب.. والمخادع.. وحاد الطباع الذي لا يحتمل الخسارة فاندمج فيهم غير نادم على تدهوره! يبدأون السهرة مهذبين باسمين يتبادلون المجاملات، فإذا اندمجوا في السباق المحموم نسوا كل الاعتبارات وشغلوا بمعركة الدفاع عن النفس وإثارة اللعب حتى يفيقوا مع اقتراب الفجر، فينهضوا تالفي الأعصاب شبه متخاصمين لا يكلم أحدهم الآخر! يلتقون في مساء اليوم التالي بالمقهى فتعود إليهم ابتساماتهم ومجاملاتهم وكأن شيئاً لم يكن! عرف قانون اللعبة بالمارسة فاحترمه وحاول أن يتواءم معه رغم نفوره الباطني منه، إذ لا بديل لذلك إلا السأم والوحدة في ليل الأعزب المزمن. فاتت فرص الارتباط وضاعت فتخطى الأربعين بعام ولم يبق له إلا الحسرة والتوحد في الذات. دنيا الأعزب المزمن نفسه وحدودها شخصه ولا عجب؛ إذ كيف يهتم بالآخرين من لا يهتم به أحد سواه؟ قالت له فتاته وهي في نهاية سنوات الدراسة الجامعية: لم تبق إلا أيام ونتخرج فعدني أن تتقدم لأخي بعد الامتحان وسأذلل لك كل الصعاب..

ولا تخش عقبات البداية فهكذا يتزوج كل الشباب! فتردد أمام خطوة البداية والتمس لنفسه العذر عن جبنه في ضعف إمكانياته وثراء أخيها.

انتظرته بعد التخرج عامين طويلين وألحت عليه أن يتقدم قبل أن يفوت الأوان فتعثر في تردده وعجزه حتى أفاق على خبر ارتباطها بآخر وزواجها منه! لسنوات طويلة اتهم نفسه بالجبن والعجز وأقسم لنفسه ألا يتردد من جديد إذا صادف الحب الحقيقي في حياته مرة أخرى. فمضت السنوات.. ولم يظهر في الأفق بشير له.
تعرف بأخرى.. وأخرى فما استطاع أن يقنع نفسه بإحداهن ولا اقتنعت به أو أحبته واحدة مثلما أحبته فتاته القديمة.
انزلقت قدمه إلى مائدة اللعب فأحرق عليها ساعات ليله بلا حساب واكتسب شيئاً فشيئاً طباع المقامرين. يتهمونه في الشلة بالجرأة والمغامرة في اللعب.. فيبتسم باطنه في حسرة وهـو يتذكر تردده أمام السعادة وعجزه عن نيلها!
تقدم في عمله رغم سهر الليل الطويل واستقرت أحواله المادية فامتلك الشقة والسيارة ورصيداً كافياً لبداية مشروع الزواج.. لكن أين فتاة القلب التي تسكن العش الخالي.. وماذا يفيد أن تبنى بيتاً لا يجد سكانه؟.
في حمأة اللعب قد تفلت الحكمة من بعض الأفواه فنصحه أحد رفاقه بنسيان حلم الحب والإقدام على الزواج بالطريقة التقليدية.. وقال له آخر: هاأنت ترانا جميعا متزوجين.. ومهما كانت مساوئنا وأخطاؤنا فنحن نعود آخر الليل إلى بيوت تدفئها أنفاس الزوجات والأبناء الذين نتحمل مسؤولياتنا عنهم.. وتعود أنت إلى بيت بارد موحش لتنتظر موعد اللعب التالي، وتصاب باكتئاب شديد إذا عرقل اجتماعنا شيء.. وتلح علينا كل ليلة بل وتتوسل لنا لأن نطيل اللعب ساعة أخرى فلا نستجيب لك فلماذا لا تتزوج كما يتزوج الناس.. أحببت أو لم تحب.. وأنت الفائز في كل الأحوال.. فحتى هموم الزواج ومشاكله أرحم كثيرا من وحدتك بين جدران الليل.
سلم بحكمة النصيحة وقرر الأخذ بها وسأل رفاق اللعب أن يرشحوا من يرونها ملائمة له.. فرشحه بعضهم لقريباته.. والتقى بكل منهن في زيارة عائلية فلم يحالفه التوفيق مع إحداهن.
اعترف لنفسه بأنه قد ضحى بسهرة اللعب هذه الليلة جرياً وراء الأمل الغامض في الالتقاء بمن تخلصه وحدته في سهرة عائلية مماثلة.. فترى أين هي وسط زحام هؤلاء المدعوين؟ تأمل الحاضرين في بيت زميله، وتساءل ترى متى كانت آخر مرة شارك فيها في مناسبة عائلية كهذه المناسبة؟ فرّقت ظروف الحياة بينه وبين أصدقائه القدامى.. وباعدت غربة المكان بينه وبين إخوته وأسرته.. فلم يعد يلتقي بهم إلا في المناسبات القليلة.
وبين زحام الحاضرين لفتت نظره بوجهها المريح وملامحها التي توحي بالأمان فتساءل في باطنه.. ترى من تكون؟ وتأمل المدعوين ليحاول اكتشاف علاقتها بأحدهم فلم يلحظ ارتباطها بأحد. لاحظ طبيعة تصرفاتها فأيقن أنها تنتمي لصاحب الحفل أو لزوجته. وبينما كانَ مشغولاً بها فوجىء بها أمامه

تحمل إليه طبق الجاتوه فتناوله شاكراً وباسماً، وقال لها على الفور إنه يحس بأنها "صاحبة بيت" وليست ضيفة فهل له أن يتجرأ ويطلب منها كوباً من الشاي؟ وأجابته بابتسامة ترحيب وعادت إليه بعد قليل بالشاي فشكرها بحرارة آملاً أن تكون خالية القلب!.

سأل عنها زميله خلال الحفل فأجابه وهو يتطلع إليه مستفهمـاً عن سر اهتمامه بأنها شقيقة زوجته، فأمضى السهرة مركزاً عينيه عليها وكلما التقت عيناها بعينيه ابتسم لها في ثبات ورجاء!.

في اليوم التالي توجه إلى مكتب زميله في الصباح ليشرب معه القهوة، وأدار الحديث عامدا عن حفل الأمس إلى أن وصل إلى هدفه وسأله عن شقيقة زوجته.. فعرف منه أنها ليست مخطوبة ولا مرتبطة وإنما مطلقة منذ عام واحد بعد زواج استمر 8 سنوات بسبب عدم الإنجاب!.

اهتز قليلاً حين سمع بمشكلتها مع الإنجاب.. لكنه لم يتراجع وإنما طلب من زميله أن يرتب له زيارة عائلية يلتقي بها خلالها لمزيد من الاقتراب والتقى بها في بيت زميله ولـم يخف نيته عليها.. فأبدت تجاوبا معه وحدثها طويلاً عن حياته ووحدته.. وسألها أن تحكي له عن حياتها فروت له باختصار عن سعادتها المنهارة.. وانهيار زواجها بعد 8 سنوات بسبب استجابة زوجها السابق لضغط أهله عليه وزواجه من أخرى لينجب منها.. وروت له عن موافقتها راغمة على الاستمرار معه بعد زواجه إلى أن أنجب زوجها طفلاً من زوجته الجديدة وشغل بها عنها تماما.. ثم استجاب لضغط زوجته الجديدة عليه.. فطلقها ووجدت نفسها مطلقة وحيدة في الثانية والثلاثين من العمر، وعادت لتقيم مع أمها بعد أن تزوجت شقيقتها وشقيقاها. تذهب إلى عملها صباحا وتعود لتمضي يومها بين جدران بيتها ومشكلتها هي الليل! فأمها تنام في الثامنة مساء على الأكثر.. وتبقى هي وحيدة ساعات المساء الطويلة تشاهد التليفزيون وتقرأ وتتقلب في فراشها حتى الثانية أو الثالثة صباحاً.. ساعات الليل طويلة وموحشة وجافة.. ولا شيء يبلل من جفافها أحيانًا إلا دموعها الصامتة حين تستسلم للضعف ومرارة الذكريات.

وسألها واجلاً: هل مازلت تحبينه؟

وأجابته صادقة: أكذب لو قلت لك إني أكرهه.. لكن مرارة القلب أقوى من كل المشاعر!.

واستراح لإجابتها واعتبرها مدخـلاً أمينا لاكتساب الثقة. وتكرر لقاؤهما في بيت زميله وازداد اقترابهما.. وسألته بعد قليل: ألا يزعجه حقا عدم قدرتها على الإنجاب، فأجابها صادقا بأنه قد تردد قليـلاً أمام الأمر حين عرف به، لكنه حسم تردده بالتسليم بفـوات أوان الإنجاب أو الأمـل فـيـه وساعدته وحدته المزمنة على تقبل الأمر بروح واقعية. وسعدت بإجابته وأملت أن تدعم روابطهما الأيام.

واستراح إلى اختياره فصارحها بكل شيء عن حياته حتى بإدمانه للعب في وحدته.. ومخاوفه من ألا يستطيع بعد الزواج أن يمتنع نهائيا عنه في بعض الليالي فيتركها لوحدتها مع الليل.. واهتزت أمام الاحتمال لكنها قالت له بعد أيام إنها قد قارنت بين وحدتها الكلية في بيت أمها ووحدتها الجزئية المحتملة بعد الزواج، وانتهت إلى تفضيلها للارتباط به ووعدته بألا تثير له المتاعب بسبب هذه الآفة بعد الزواج إلى أن يتخلص منها.

وتزوجا وحضر رفاق اللعب زفافه وانصرفوا مبكرين ليلحقوا بموعدهم المقدس متأخرين عنه بعض الشيء إكراماً لزميلهم!.

وأحس منذ اللحظة الأولى التي اختلى بها فيها بتطلعها الحزين إلى الاحتماء به من التعاسة فرقّ قلبه لها. تفرغ لها أيام العسل ليلاً ونهارا فأنست لصحبته وشغلت حياته باهتمامات جديدة، ضبطته بعد شهر من الزواج ساهماً في بداية المساء فقالت له بفطنة: لماذا لا تذهب لرؤية أصدقائك القدامى.. وأمضي أنا هذه الليلة مع أمي!.

وقدر لها حرصها على إبعاد السأم عنه.. فانطلق مبتهجاً إلى شلته القديمة وقوبل فيها بعاصفة من الترحيب والاتهام بالجحود! تكررت الزيارة من حين لآخر ولاحظ عدم ضيقها بها فرضى عن حياته معها ومضت أيامهما هادئة.

كفت زوجته عن المبيت مع أمها في الليالي التي يستجيب فيها لنداء اللعب، فأصبحت تمضي ليلتها في مسكنها الـخالي تتقلب في فراشها ولا يسكن لها جانب إلا حين تحس به وهو يندس إلى جوارها في الفراش فتمسك بيده كأنما تطمئن إلى أنـهـا لـم تعد وحيدة.

وعلى عكس ما أملت من أن تسهم زياراته المتباعدة لرفاق اللعب في إبعاد السأم عنه حتى يزداد تمسكا بها، تقاربت مواعيد زيارته لهم حتى كادت تصبح يومية بعد شهور، فطالت وحدتها وأطل العتاب الصامت من عينيها. وبعد عام آخر أصبحت القاعدة هي سهرة الرفاق والاستثناء هو أن يبقى معها.. فاستقر الحزن الصامت في أعماقها.. ثم نهضت من نومها ذات يوم مفزوعة لحلم كئيب وتحسست مكانه الخالي في الفراش بأسى، وأضاءت النور ونظرت في الساعة فوجدتها الثالثة صباحا، فأطفأت النور وظلت تحدق في فراغ الظلام وهي تفكر في هذا الحلم الغريب الذي يراودها منذ فترة وترى فيه نفسها تهوي من فوق جبل عال.. وتمد يدها إلى زوجها لينقذها.. فلا تجد يده!.

منذ أسابيع وهي تحلم بهذا الحلم.. وترويه لزوجها فيطيب خاطرها. تسلل ضوء الصباح الضعيف إلى الحجرة وتسلل زوجها وأحس بها مستيقظة فنظر إليها محرجاً ومرتبكاً.. وحاول أن يبرر تأخره الشديد هذه الليلة فقاطعته قائلة بصوت خافت: رأيت نفس الحلم مرة أخرى.. ولم أجدك إلى جواري.. جلال طلقني!

وانزعج لما قالته وطلب تأجيل مناقشة الأمر إلى اليوم التالي.. وغير ملابسه وذهب إلى عمله بلا نوم.. وعاد في الظهر فوجدها تنتظره في الصالة.. وقد

أعدت له طعام الغداء فتناوله على عجل وهو يقاوم النعاس ودخل إلى غرفة النوم فصاحبته إليها.. ورتبت له الفراش فدخل فيه سعيدا بنسيانها للمطلب المزعج وأمسك بيدها شاكرا وباسمـا ومعتذرًا فسمعها تقول له:
_عفوا سأغادر البيت بعد نومك.. وسأنتظر في بيت أمي حتى تتم الإجراءات!
وفقد رغبته في النوم فجأة فانتفض جالساً في فراشه وأمسك بيدها وسألها:
هل أنت تعيسة معي إلى هذا الحد؟
هل فشلت في أن يكون لي أي رصيد من حبك.. إنني معترف بخطأ عودتي إلى اللعب.. لكنه لن يكون هناك أمل في الإصلاح إذا لم يكن لي أي رصيد لديك من الحب والرغبة المشتركة في استمرار الحياة فهل فقدت كل رصيدي عندك؟. أم أنني عجزت من البداية على أن أفتح لنفسي حساباً لديك!
وتطلع إليها بنظرة رجاء.. فأحنت رأسها متفاديـة نظراته وانسابت دموعها بغزارة وهي تقول له:
_أنت رقيق وهادئ الطبع وحنون.. ولا أريد أن يفشل زواجنا لكني أخاف سجن الليل ولا أريد أن أعاني الوحدة كل ليلة، ولقد فكرت طويلاً فوجدتك بعد أن تسللت إلى قلبي شيئاً فشيئاً.. وأصبحت كل حياتي تعود فتتسرب من بين يدي، وأجد نفسي وحيدة بلا نهاية مع عذاب الليل كما كنت في بيت أمي.. ولـم أحتمل عودة المعاناة وأريد أن أوقف القصة قبل أن تفسد حياتنا بالنزاع والشجار.
وأجهشت في بكاء مرير.. فانتفض من فراشه واقفاً وقد اكتسب قوة مفاجئة غلبت إجهاد السهر.. وراح يتمشى في غرفة النوم لفترة طويلة مطرقاً يفكر وهي جالسة على حافة الفراش تبكي.. ثم توقف فجأة أمامها وقال لها:
_ سناء.. ما رأيك في أن نعيش بضعة أعوام من حياتنا على ساحل البحر الأحمر؟ لقد عرضوا عليّ في العمل منذ أيام ترقيتي ونقلي إلى مدينة الغردقة. لكني اعتذرت عن الترقية والنقل ربما ترددا أمـام مطالبتك بالانتقال من عملك إلى هناك، وربما لكيلا أبتعد عن الإسكندرية ورفاق السهرة، والآن قد غيرت رأيي.. وقررت أن أقبـل الترقية والنقل وتستطيعين بسهولة الانتقال للعمل معي وسوف تستمتعين بالحياة هناك فلن يكون فيها سهر ولا لعب.. ولـن يكون لأحدنا سوى الآخر وسوى استقبال الأهل والأقارب من حين لآخر في زيارات ممتعة في الاستراحة الواسعة التي سنقيم فيها.. فما رأيك في هـذا الاقتراح؟
ورفعت إليه رأسها مندهشة ودموعها مازالت تنساب على خديها وظلت ترنو إليه صامتة، فرأى دمعها وهو يجف تدريجياً حتى توقفت آخر قطرة منه في عينيها وترددت في السقوط.. ثم رأى أسارير وجهها تنفرج رويداً رويداً وبداية ابتسامة أمل جديدة ترتسم ببطء فوق شفتيها، ثم استسلمت أحاسيسها لداعي الابتهاج.. فاتسعت الابتسامة بالتدريج حتى بشرت بتحولها لدى أي مثير جديد للبهجة إلى ضحكة ارتياح كتلك التي تتسلل للإنسان رغماً عنه حين

يكتشف فجأة أنه قد نجا من هاوية سحيقة كاد يسقط فيها فراح ينظر إليها مندهشاً ويتخيل حاله لو كان قد هوى إليها بالفعل!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

موعد.. في المساء

انصرف زائره من مكتبه مودعاً مضيفه باحترام، فدخـل الساعي العجوز ورفع فنجان القهـوة الفارغ وكـوب المـاء مـن فـوق المـائدة الصغيرة، ثم ذكـره بوجود سيدة شابة. تنتظر المقابلة، فأشار بيده طالباً السماح لها بالدخـول. وأطال الزائر الحديث عن قضيته وهواجسه ومخاوفه من انتصار الخصوم عليه، فكاد ينسى وجود هذه الزائرة التي لـم يجئ إلى المكتب هذا المساء إلا لـموعدها.

ليست صاحبة قضية جديدة.. ولو كانت كذلك لما حفل بلقائها بهذا الاهتمام.. فهو منذ سنوات أصبح لا يقبل إلا أقل القليل من القضايا التي تثير اهتمامه.. أو تقدم له جديداً من الخبرة المهنية، وقد لامه صديق عمره على ذلك وهما يتجاذبان الحديث خلال مشوار الـمشي اليـومي في الصباح الباكر. فأجابه: ولمن أرهق نفسي بعمل لا يعدني بأية متعة وليس عندي من أجمع له المال.. لا زوجة ولا ولد.. وقد أوشكت موسيقى النهايـة أن تعزف ألـحـانـهـا الـحزينة!

نعم.. لم يعد لديه ما يحفزه للعمل لمجرد جمع المال فقد جمع منه ما يكفيه لنهاية كريمة، ومن أجله اختصر رحلة عملـه في القضـاء، واستقال وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وعمل بالمحاماة عشرين عاماً حقق خلالها نجاحاً وشهرة واشترى شقة لـمصيفه بالإسكندرية وسيارة فارهة لتنقلاته القليلة، وأثث شقته المطلة على النادي بأفخر الأثاث، ولـم يـحرم نفسه من تحفة رغبها أو متعة بريئة اشتهاها، ووجد نفسه وحيـدا يقترب من الستين فزهد فجأة في اللهاث وراء النقود.. ولولا كراهيته للفراغ لأغلق مكتبه وسرح وكيـله ومساعده وساعيـه العجوز، لهذا اختار الحل الوسط، وبـدأ يعتذر بإصرار عن عدم قبول القضايا الصغيرة وتلك التي لا يستريح إليها عقله أو ضميره.

وبحكمته المعروفة عنه اختصر حجم العمل في مكتبه بحيث لا يزيد كثيرا عما يحقق له هدف شغل الفراغ والشعور بالذات وتغطية نفقات المكتب وأجور العاملين معه مع هامش بسيط. ونظم حياته بحيث يبدأ يومه بمشوار المشي الصباحي مع صديق عمره الذي تخرج معه في يوم واحد من كلية الحقوق وعمل مثله في القضاء، لكنه واصل مشواره فيه حتى الآن. ثم يعود إلى مسكنه فيزيل آثار المشي المجهد تحت الدش ويتناول إفطاره ويذهب إلى مكتبه أو إلى المحكمة لثلاث ساعات أو أربع على الأكثر، ثم يخلص بعد ذلك للفراغ والهدوء في مسكنه وسماع الموسيقى والقراءة ويستقبل أصدقاءه أو يزورهم أو يقضي الأمسية في مسرح أو يتوجه إلى مبنى التليفزيون ليلبي دعوة للحديث في برامجه الاجتماعية ويسعد بصدى أحاديثه الطيبة لدى أصدقائه ومعارفه.. فلا يذهب لمكتبه في المساء إلا لموعد هام أو ضروري. وقد جاء إلى مكتبه مساء اليوم لارتباطه بهذين الموعدين أو بالأحرى بالموعد

الثاني منها على وجه التحديد مع هذه السيدة الشابة فهي ابنة شقيق صديق عمره المستشار.. وقد عرف تفاصيل قصتها منه خلال مشوار المشي الدائم وإن لم يكن قد رآها من قبل، فعرف منه أنها سيدة شابة وجميلة وفى الثلاثين من عمرها، صادفها سوء الحظ مبكرا في حياتها فتزوجت وهي في عامها الدراسي الأخير بالجامعة من جارها الشاب الذي أحبته منذ صباهـا فلم يطل زواجها أكثر من سبعة شهور تكشفت لها خلالها هذه التجربة عن محنة كبرى.. وساعد صغر سنها وسن زوجها على اضطرام لهب الخلافات وتنافر الطباع بينهما بسرعة جنونية، فانتهى الأمر بالطلاق وعودتها إلى حياتها مع أمها وشقيقها، وقد تغير في روحها شيء جوهري صميم، وبصعوبة شديدة اجتازت محنتها وأنهت دراستها الجامعية.. وساعدهـا على ذلك أن تجربة زواجها الفاشل لم تثقل كاهلها بطفل تتجدد بسببه المتاعب، وعملت بوساطة عمها المستشار بهيئة دولية تعمل في مصر بمرتب كبير وحققت في عملها نجاحا مشهودا. لكنها أخفقت على الجبهة الشخصية في تعويض تعاستها.. فلم تقبل الزواج بعد ذلك أبـدا رغم مشاحنات أمها وعمها معها واشتعل الخلاف الأخير حول خاطب جديد لا يمكن لعاقلة أن ترفضه.. فاستعانت أمها عليها بعمها الذي تحدث معها طويلاً بلا طائل حتى كاد يسلم باليأس منها لولا بارقة أمل لمعت فجأة في الظلام!

فلقد تذكر العم أنها قد أشارت في أحاديثها السابقة معه أكثر من مرة إلى إعجابها بآراء صديقه المحامي المعروف في برامج الأسرة بالتليفزيون فسألها فجأة: هل تقبلين صديقي حكما بيني وبينك؟ وهكذا جـاءت إلى مكتبه هذا المساء!

دخلت إلى غرفة المكتب الوثير فرحب بها واقفاً ومذهولاً في نفس الوقت. يا ربي إنها "هي" كأنما قد بعثت فجأة من الماضي البعيد ولو لم يكن واثقا من صحوه لجزم بأنه إنما يراها الآن في حلم سعيد! هي بكل ملامحها التي أحبها كثيرا وتعذب لها أكثر. نفس الوجه الدسم الموحي دائمـا بإيحاءات شهية.. نفس الجسم البض الممتلىء في غير ترهل كأنه دعوة سافرة للاستمتاع.. نفس العينين الواسعتين الجميلتين اللتين يغرق فيها المحب بلا أمل في النجاة، بـل نفس الذقن الـمدبب أيضا الذي يوحي بقوة الشخصية والعناد فأيـن من صاحبتها المفر؟ لو لم يكن يعرف بقرابتها لصديق عمره لظنها أختها أو "ابنتها"، مع أنه لم يكن لها أخت ومع أنها لم تنجب كما سمع بذلك منذ سنوات بعيدة.. ترى أين اختفت الآن؟

انتزع نفسه بصعوبة من أفكاره وانفعالاته ورحب بزائرته الجميلة بالكلمات التقليدية.. ثم أعطاها سمعه باهتمام فقالت له: ـ عفوا لإرهاقك بمشكلتي لكني في حيرة من أمري، وقد رأيتك في التليفزيون أكثر من مرة تتحدث عن الحب وشروط الزواج الناجح وأحسست بمدى تفهمك لهذا الموضوع فأردت أن أستفيد برأيك في مشكلتي.

وشكرها بتواضع ثم حثها على الكلام، وهو يتأملها باهتمام فصارحته بما لم تصارح به عمها ولا تعرفه أمها، وروت له قصتها من البداية البعيدة من حب المراهقة الساذج.. زواج القلب بلا أي اعتبار سوى الحب.. صدمة الفشل.. عقدة المطلقة الشابة الجميلة التي تطاردها العيون.. رفضها المتكرر لتجربة الزواج خوفا من الفشل. انهماكها في العمل ونجاحها فيه، ثم أخيرا حب النضج الذي يواجه أعاصير العذاب الآن! فلقد أحبت منذ عامين شابا يكبرها بخمس سنوات التقت به في عملها.. ووجدت نفسها للمرة الأولى منذ تجربة الفشل تهتم برجل آخر، ثم تحول الاهتمام إلى طوفان من الحب لكن السعادة لم تلق بمراسيها في مرفأ الزواج رغم كل شيء. وتوقفت عن الحديث وبدأت عيناها تتنديان بالدمع فبلغ اهتمامه بالقصة ذروته وسألها:

_ وماذا يمنعه من أن يتقدم إليك ويرتبط بك وأنت أمل لأي رجل آخر؟

فتحول ندى العين فجأة إلى مطر غزير وانتظر حتى تمالكت نفسها وتكلمت:

_لا أعرف.. هذا ما أريدك أن تفسره لي.. إنه يقدم ثم يحجم.. يعدني بأن نضع النهاية السعيدة لحبنا خلال أيام ويتحمس للحديث عن المستقبل.. وشقة للزواج.. وخطتنا لشهر العسل ثم فجأة يهبط حماسه ويتهرب فأثور وأغضب وأصطدم به صداما مروعا.. وأطالبه بالاختفاء من حياتي.. وتنقطع صلتنا شهورا أتعذب بها حتى النخاع ثم أبدأ بالاتصال به أو يبدأ هو فنستعيد علاقتنا أقوى مما كانت.. أظنه ونسعد بالحب من جديد ثم يتجدد الصدام بعد قليل.. وهكذا!

وتوجهت بوجهها الجميل إليه ثم قالت: إنني لا أعرف أين أقف الآن.. هل يحبني حقا؟.. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يبتعد حتى أظنه قد مات ثم يعود فجأة ولماذا يرفض أن يتقدم خطوة للأمام.. إنني لست في حاجة للزواج من أجل الزواج، فهو يعرف أنني أستطيع أن أقبل زوجا ممتازا في أي وقت، كما أني ناجحة في عملي وفي حياتي الاجتماعية ولست ضعيفة.. لكنه يحيرني بموقفه وتقلباته المفاجئة وأريد أن أفهم منك.. هل يحبني؟

فنظر إليها الأستاذ صامتا أجابها بهدوء.. نعم يحبك.

فسألته: إذن لماذا لا يتقدم لأسرتي؟

فعبث بالقلم الرصاص بين أصابعه لحظة ثم قال لها:

لأنه يخاف منك!

وبهتت الزائرة الجميلة، لإجابته وتساءلت:

يخاف مني؟ لماذا؟

فعاد يعبث بالقلم وهو يقول لها: لأنك جميلة وشهية ولافتة للنظر أكثر مما تحتمله ثقته في نفسه.. عفوا وثقته فيك أيضاً.. وهو لم يستطع أن يواجه حقيقة أنك مطلقة جميلة شابة دخل حياتك زوج سابق قبله ثم عشت بعد ذلك سبع أو ثماني سنوات قبل أن تلتقي به كمطلقة.. وموظفة بهيئة دولية لموظفيها حياة اجتماعية عريضة.. فتساءل عقله الباطن قائلا له: نعم إنها

"ثروة" لمن يفوز بها وأنا أحبها وأريدها.. ولكن كم "فائزا" قد صادفه مثل هذا الحظ السعيد قبلي؟. وهل أستطيع احتمال ذلك؟

إنه يراك مخلصة له فيكذب ظنونه وتهدأ خواطره، ثم قد يرى منك لمسة تمرد أو عصبية أو سيطرة فيسأل نفسه:

هل حقا سوف أمتلكها وحدي للنهاية.. أم أن هناك من سوف ينافسني فيها بعد حين وهي "دعوة متحركة" لاهتمام الرجال بجمالها؟ وحتى لو كانت مخلصة لي الآن، فهل يرشحها ماضيها المجهول للإخلاص لي في المستقبل أيضا.. إنها ليست فقط لافتة للنظر بجمالها.. بل وقوية الشخصية أيضا وعنيدة وعصبية فبماذا تعدني الحياة معها في المستقبل سوى بمتعة طاغية أو عذاب لا يحتمل ولا وسط بين الاثنين؟ وهكذا يحتدم الصراع دائما في أعماقه تجاهك.. فتضطرب مواقفه معك وهذا هو سر إقباله عليك أحيانا وابتعاده عنك في أحيان أخرى.

وتنبه وهو يحدثها إلى ملامح الدهشة التي علت وجهها فسألها مشفقاً: هل تحليلي هذا بعيد عن الواقع؟ فقالت له ذاهلة: بالعكس إنك تفسر لي كل ما غمض عليّ من فهم تصرفاته.. بل لقد استخدمت في حديثك بعض كلماته لي كأنما شهدت بعض مشاجراتنا، فهو يتحدث كثيرا كما قلت أنت عن عصبيتي وعنادي وقوة شخصيتي.. وعن مجتمع العمل في الهيئة الأجنبية التي يظن أن كل موظفيها لابد قد دخلوا في علاقات خاصة مع موظفيها، لكني مازلت متحيرة فإذا كان هذا هو رأيه في فلماذا لا يبتعد عني ويدعني وشأني؟

فرجع بظهره إلى مقعده وهو يقول مبتعدا بعينيه عنها كأنما يحدّث شخصاً آخر:

_ ليس الأمر بهذه السهولة؟.. فهو يحبك رغم كل هذه المخاوف والشكوك التي تسكن عقله.. والحب في النهاية لا يخضع إلا لأحكام القلب ومشكلتك معه أنه في صراع مستمر بين عقله وقلبه.. فعقله لا يقتنع بك وقلبه يريدك وكلما انتصرت محاذير العقل ابتعد.. وكلما انتصر نداء القلب رجع، ولهذا فإن أفضل وضع بالنسبة له هو استمرار الحال على ما هو عليه الآن بينكما ولأطول فترة ممكنة: لحب يلبي نداء القلب بغير زواج يثير مخاوف العقل!

ولهذا أيضاً فلابد أن يحدثك طويلاً عن ضرورة ألا تفسد متعة الحب بقيود الزواج الآن.. فكل زواج ليس دليلاً على الحب وكل حب لا يؤدي بالضرورة إلى زواج، فلماذا إذن نتعجل العذاب ولماذا لا ندع نفسينا لما سوف تختاره لنا الأيام دون أن ندفعها نحن في اتجاه بعينه، وخلال ذلك تحاولين التخلص من "عيوبك" قليلاً حتى لا "نتزوج" ثم " فشل" فتكون القاضية لكل "منا"!

وقاطعته قائلة باهتمام: كيف "عرفت" كل ذلك.. إنه يقول لي نفس هذه الكلمات بنفس الحروف تقريبا!

فارتسم ظل ابتسامة حزينة على وجهه.. وقال لنفسه لو صدقت معها لأجبتها عن سؤالها بأني لم "أعرف"، لكني "قلت" نفس الكلام وعشت نفس القصة

شبيهتها بكل تفاصيلها تقريبا، وواجهت نفس الحيرة بين نداء القلب ونداء العقل.. وجبنت عن اتخاذ القرار الذي أكاد "أحتقر" فتاك الآن لأنه يجبن عن اتخاذه معك فأضعت الحب من يدي.. ولو رجعت الأيام لما خفت ولما ترددت ولما استكثرت على نفسي فاتنة مثلك.. ولما حاسبتها عن سنواتها السابقة لتجربة الحب معها.. ولاستأذنت عقلي في أن يستريح من هواجسه ويدعني أكمل المشوار معها حتى النهاية.. فحتى لو صدقت مخاوف العقل فيما بعد ألـم أكن قد فزت من السعادة بسنوات قد يطول العمر بعدها فلا يسمح بمتعة لحظة من لحظاتها؟.
نعم تعلمت الحكمة بعد فوات الأوان وعرفت بالحرمـان أنـه لا يفوز بالسعادة إلا الجسور، وإنها لم أكن جسوراً ولا شجاعاً بل كنت عاشقا "وضيع" الإرادة.. أريدها وأجبن عن امتلاكها.. أحبها وأخشى من عثرات مستقبل في علم الغيب، فأطلت التردد والاقتراب والابتعاد حتى ضاقت بي ويئست مني.. فابتعدت وتزوجت ممن لم تحب وهاجرت معه.. وانقطعت أخبارها عني، وتزوجت أنا زواج العقل الرصين بعد هجرتها.. فتجرعت الخيبة وفتور العاطفة وملل الحياة التي لا تعرف لهيب الحب ولا عذابه فانتهت التجربة بالانفصال دون إنجاب بعد عامين فقط ولم تتكرر التجربة بعد ذلك أبدا.
أفاق من سرحانه على صوتها يلح بالسؤال: أستاذ.. بماذا تنصحني أن أفعل معه.. هل أتركه وأتزوج ممن تريدني أمي أن أتزوجه رغم أني لا أحبه ولا أشعر تجاهه حتى بمجرد القبول؟
فرفع إصبعه محذرا: لا.. لا تتزوجي أبدا ممن تشعرين بالنفور منه مهما كانت الظروف، وحتى لو فشلت تجربتك مع فتاك هذا فلا تتزوجي إلا بعد فترة نقاهة نفسية، تتخلصين خلالها من آثار هذا الحب على شخصيتك ومشاعرك.. ولا تتزوجي إلا بمن تشعرين تجاهه على الأقل بالقبول النفسي، لكن قبل أن تفعلي ذلك دافعي عن حبك حتى الرمق الأخير، وابذلي كل جهد لطمأنة خواطر فتاك تجاهك وتدعيم ثقته فيك وفي نفسه وفى أنه يستحق أن تخلصي له حتى نهاية العمر، وفي كل الأحوال فلا تحاولي أبدا حثه على الزواج منك بإشعاره بالغيرة عليك وبأنك مرغوبة من آخرين "أفضل" منه، وأنه يستطيع أن يفوز عليهم إذا تقدم خطوة واحدة وامتلكك للأبد.. فإثارة غيرته لا تخدم هدفك في إقناعه بالزواج منك.. وإنما تؤكد على العكس مخاوفه منك ومحاذير العقل الذي يوسوس له بها.
وقاطعته مرة أخرى ذاهلة: وكيف عرفت أنني أفعل ذلك يا أستاذ؟ لقـد فعلته فعلاً لحثه على أن يتزوجني.. فكان يثور ويغضب ونتبادل أقسى الاتهامات، ويبتعد ثم يعود طالباً إعطاءه فرصة جديـدة ينسى خلالها ما أثرته من شكه فيّ!
تماما كما كان يفعل بعد كل موقعة بينهما بسبب محاولتها الدائمة لإشعاره بأنه إن لم يتقدم إليها الآن فلن يطول الوقت حتى يهزمه غيره في قلبها

فأبعدته عنها بقدر ما رغبت في أن تقربه منها!
وحثته على الخروج عن صمته بنظراتها فأكمل حديثه:
وأعطيه مهلة أخيرة لا تتجاوز ثلاثة شهور أو أربعة واصلي خلالها طمأنته وتدعيم ثقته بك وتجنبي العصبية معه، وتجنبي محاولة السيطرة عليه وإشعاره بقوة شخصيتك في حياتك الخاصة وفي مجال العمل فبعض الرجال تخيفهم قوة شخصية الزوجة أكثر مما يزعجهم ضعفها، فإذا تقـدم خطوة للأمام في طريق الزواج فواصلي الطريق معه إلى نهايته، وإذا استمر الكر والفر بينكما والصراع داخله فلا تضيعي من العمر أكثر من ذلك، فلن يحسم بعد ذلك هذا الصراع أبدا لصالحك إذا طال عن ذلك وسيظل يراوغ ليطيل تجربة الحب بلا مخاوف ولا تبعات لأطول فترة ممكنة، وسيكون ذلك خصما من سنوات عمرك بلا طائل.
نصيحة لم يقدمها أحد في حينها "للأخرى" فطالت قصته معها خمس سنوات كاملة شهدت أقصى السعادة وأقصى الشقاء، ظللت أراوغها خلالها بنفس الحجج والمبررات مشفقاً على نفسي من الزواج بها.. ومشفقاً على نفسي من أن أفقدها تماماً كما يفعل هذا "الجبان" الآن مع زائرتي الشهية.. ولو رجعت الأيام لما كنت هذا المحامي الوحيد الذي يقترب الآن من الستين حتى ولو تضاربنا كل أسبوع مرة كما كنا نفعل في عنفوان الحب.. والغيرة.. والشك!
ونهضت الزائرة أخيراً شاكرة وهي تعده بأن تعمل بما أشار عليها به وكررت رجاءها له بألا يخبر عمها بشيء مما صارحته به.. فأكد لها ذلك بكل ثقة وودعها باحترام، فقالت له فجأة وهي تهم بمغادرة المكتب: سؤال أخير كيف عرفت بما يفكر فيه "هو" تجاهي.. وبما يقوله لي وبما أفكر فيه أنا وأفعله معه هل تقرأ الغيب يا أستاذ!..
فضحك منتشياً بالإطراء للمرة الأولى منذ رآهـا، وقـال لها مؤكـداً لا غيب ولا دياولو. إنها فقط خبرة السنين.
وغادرت مكتبه فتأهب لجمع أوراقه استعداداً للانصراف وصوته الباطني يهمس له مستكملاً الجملة الأخيرة: أقصد خبرة الجبن والتعاسة والنكوص عن جني ثمرة الحب!
∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دواء ساحر المفعول!

استقبله صديقه إبراهيم في مقهى الزهرة بشارع عماد الدين مرحبا فتصافحا بحرارة وجلسا وإبراهيم يقول له باسماً:

_أخيرا اقتنعت.. وهذه علامة طيبة!

فقال له سليم وهو يفكك أزرار معطفه الرمادي: نعم.. ما دمت تراها فكرة صائبة.

فقال له الآخر بحماس: تأكد أنك لن تندم.. فإن لم تجد فيها كل ما ترغبه.. فستجد فيها على الأقل تجربة جديدة.. وعالما آخر! وهز سليم رأسه موافقاً.. وجاء الجرسون بالقهوة فاحتسياها على عجل وسليم يتأمل وجوه رواد المقهى بذهن شارد.. ثم نهض إبراهيم ودعاه للقيام فتبعه في صمت إلى خارج المقهى.. واصلا السير في اتجاه شارع رمسيس انحرف إبراهيم بصديقه يميناً في شارع جانبي لبضع خطوات ومال به ناحية اليسار، فوجد سليم نفسه أمام مبنى بدا له كالجراج المهجور بالرغم من لافتة النيون المضيئة باللون الأحمر.. ولوحة الإعلانات الباهتة التي تعلو مدخله... تقدم إبراهيم ورفع يده بتحفظ للرجل الواقف بالباب فرد الآخر تحيته بحرارة تشي بمعرفته السابقة له، وعبرا الباب إلى ممر شبه مظلـم انتهى بها إلى باب على اليمين عـبراه إلى صالة واسعة تتصدرها حلبة دائرية من الخشب تعلو الأرض بارتفاع قليل، وجاء الجرسون مرحباً وقادهما إلى مائدة مطلة على الحلبة. ووقف ينتظر التعليمات فأشار له إبراهيم بأصبعه قائلاً: اثنان!

والتفت إلى صديقه الجديد على المكان وقال له: مكان قريب وفي وسط المدينة.. والسهرة فيه محتملة التكاليف.. وقد تنتهي "بمتعة إضافية" إذا حالفنا التوفيق!

فتأمل سليم المكان حوله.. فرأى بارا صغيرا في جانب من الصالة تجلس إليه ثلاث فتيات وشخصان.. ورأى الموائد تحيط بالحلبة الدائرية من كل جانب لكن أكثرها خال من الرواد، ولا يشغل مقاعدها سوى تسعة أو عشرة أشخاص آخرين يروح ويجيء العاملون بالمحل بينهم. ولاحظ حوائط الصالة المنجردة من طلائها ومفارش الموائد التي لا تخلو من ثغرات فتأكد له بؤس المكان وفهم سر اعتدال تكاليفه. جاء الجرسون بكوبين طويلين ووعاء للثلج وطبق به بعض حبات السوداني فنظر إليهما سليم في حرج وقال لصديقه: أليس من المناسب أن أكتفي في البداية بالفرجة حتى آلف الجو.

لكن الآخر رفع الكوب إلى فمه وحثه على أن يرفع كوبه مؤكدا له أنه لن يألف المكان إلا إذا انغمس في التجربة بكل تفاصيلها. فأذعن سليم لرغبة صديقه ورفع الكوب إلى فمه ببطء ففاجأته رائحته.. ومرارة مذاقه المزعج.. فتجرع أول جرعة منه محاذرا أن يرتسم نفوره وامتعاضه على وجهه.

ودعا إبراهيم الجرسون مرة ثانية بنفس الإشارة فجاء حاملاً كوبين جديدين.. وتكررت نفس المحنة.. لكنه بدا أقل نفورا من المكان بعد الكوب الثاني. وشهدت الحلبة الدائرية صعود خمسة أشخاص يحملون الآلات الموسيقية معظمهم كهول بائسون، ثم بدأت فقرات البرنامج فتوالت أمام عينيه فقرات للرقص أو الغناء أثارت إشفاقه على مقدميها أكثر مما أثارت ابتهاجه واستمتاعه. وفي توقيت حاسم أشار إبراهيم بيده إلى الفتيات الجالسات في مقاعد البار، وهمس سليم بالاعتراض مناشداً صديقه الاكتفاء بالمشاهدة في تجربته الأولى.. لكن الآخر طالبه "بخوض التجربة.. كاملة".. ".. وحسم نقاشهما مجيء الفتاة وفي إثرها الجرسون فدعاها إبراهيم للجلوس وطلب لها مشروباً.. وجلست بين الصديقين تفتعل المرح وتداعب الضيف الجديد. فلم يغب عن سليم تكلفها وتعثرها في فستان أكبر من حجمها وتنافر ملامحها الريفية مع ماكياجها الصارخ، واستقر الرثاء لها في أعماقه، حاول قدر جهده ألا يخذلها ويتجاوب مع دعاباتها بقدر الإمكان.. لكنه أحس بثقل الوقت وبطئه وتمنى لو لم يبدأ المشوار من البداية.. وقرب الفجر غادرا المكان مودعين من الجرسون والفتاة التي اعتذرت عن الخروج مع إبراهيم بعذر طارىء وأصرت على أن يعدها سليم بالعودة لرؤيتها مرة أخرى ففعل متظاهرا بالجدية. ووقفا يترقبان سيارة أجرة فسأله إبراهيم: ما رأيك في التجربة؟

واستشعر سليم لهفة صديقه الخفية على الإحساس بأنه قد قدم له تجربة ممتعة فبسط كف يده متظاهراً بالامتنان وقال له: لم أتخيل أن تكون ممتعة إلى هذا الحد! وراقب ابتهاج صديقه الطفولي بذلك في عطف وقال لنفسه.. أقسى من التعاسة.. أن تضطر راغمـاً للتظاهر بالابتهاج!

* * *

أنهى المكالمة مؤكداً لصديقه سيد أنه سيكون أمام باب المطعم الذي حدده له في الموعد تماماً.. وفي المساء توجه إلى ميدان السيدة زينب فوجد صديقه ينتظره أمام باب المطعم ودخلاه معا. ارتقيا السلم إلى الدور العلوي.. وراحا يتسامران في انتظار الشواء.. وصديقه سيد يشيد بحكمته التي هدته أخيراً إلى أن يرى عين الصواب فيما دعاه إليه مراراً من قبل. أكل قليلاً كعادته في الشهور الأخيرة وفشلت محاولات سيد لحثه على الإكثار من الطعام استعداداً للتجربة ثم غادرا المطعم سيراً على الأقدام.. وسيد يروي له طرائف بعض أصدقائهما في مثل هذه السهرة الليلية فتساءل سليم في باطنه: هل يجيء يوم يحكي فيه سيد عنه بعض هذه الطرائف؟ ورغم ذلك لم يفكر في التراجع.. وواصل السير مدفوعاً برغبة غامضة. بلغا بيتا متهدماً ففوجئ سليم بصديقه سيد يدفع بابه الخشبي ويدعوه للدخول فدخل وراءه متهيباً.. وسارا بين جدران متهدمة خشي سليم أن تسقط فوقهما في أي لحظة.. إلى أن وصلا إلى منور سماوي.. فدهش سليم حين رأى عددا من

الأشخاص يجلسون فيه فوق دكك خشبية متناثرة.. وينتقل بينهم أشخاص يرتدون الجلاليب ويحملون أدوات التدخين مشرعة كالحراب. اتجه به سيد إلى إحدى الأرائك، وجاء أحد الرجال ناحيتهما وتبادل التحية مع سيد ثم جلس القرفصاء أمامه، وبعد قليل وجه إليه غابة طويلة استقبلها سيد بترحاب ثم جذب منها أنفاسًا عميقة ونفث من فمه وأنفه دخاناً كثيفاً له رائحة عطرية.. ثم مال بها إلى صديقه سليم وهو ينظر إليه حاثاً له على الإقدام، فتناولها الآخر بخوف.. وسحب أنفاساً خفيفة مترددة. وسيد يشير للرجل بأن يترفق به في البداية فيجيبه الرجل بهزة من رأسه تفيد أنه يعي الموقف تماماً.
وترددت الغابة بينهما مراراً وتشجع سليم شيئاً فشيئاً فتخلى عن بعض حذره.. وأحس بثقل غريب في مؤخرة رأسه وفقد سليم الإحساس بغرابة المكان وانحصر عالمه في تلك اللحظات في هذا الحيز الصغير من الدنيا. ولم يدر هل طال الوقت أم قصر قبل أن يجذبه سيد داعياً إياه للنهوض فسار وراءه مسلما له قياده، وهو يغالب رغبة عجيبة في الكلام والثرثرة في حين ران الفتور على صديقه سيد وفقد الاهتمام بكل شيء حتى بصديقه الذي دعاه لدخول هذا العالم الغريب! وفي الميدان الواسع أوقف سيد سيارة أجرة وهم بركوبها مودعاً صديقه فانتاب سليم إحساس مفاجئ بالفزع وسأله مضطرباً:
هل تتركني أعود وحدي للبيت؟
فتنبه سيد رغم فتوره إلى حداثة صديقه في التجربة وأدرك الموقف فدعاه للركوب معه على أن يوصله إلى بيته أولاً!
وتوقفت سيارة الأجرة عند باب النصر الأثري.. وغادرها الصديقان وحامد يقول لسليم: ليس المكان بعيداً عن هنا لكن سيارة الأجرة لا تستطيع دخول الحواري الضيقة.. فهز الآخر رأسه متفهماً ومضى وراء صديقه يجوبان الأزقة وينحرفان يميناً ويساراً في حوار ضيقة متداخلة حتى تعجب سليم "لمهارة" صديقه في الاهتداء إلى غايته من خلالها بغير خريطة. وأخيراً توقفا أمام بيت قديم.. وطرق حامد الباب فانفتح وجاءه صوت من أعلى السلم يدعوه للصعود.. فارتقيا السلم الحجري القديم إلى أن انتهيا إلى بسطة يقف فيها رجل بدين مريح الملامح.. أبيض اللحية.. مشرق الوجه ما إن بلغ حامد موقفه حتى استقبله فاتـحًا ذراعيه فتبادلا العناق وتقبيل الوجنات. ثم استدار حامد ليقدم إليه صديقه.. ففوجئ سليم بالرجل يفتح له ذراعيه مرحباً ومعانقاً بحرارة كأنه صديق قديم ثم يقودهما إلى الداخل وهو يقول لسليم بوجه بشوش: إذن فأنت صديق حبيبنا حامد الذي حدثنا عنه طويلاً.. ورجوناه أن يدعوك لزيارتنا مراراً.. فلم تستجب.. لكن لا وجه للعتاب مادمت قد شرفت بيتنا المتواضع.
فتعثر سليم في خجله وردد بعض عبارات الاعتذار، ثم دخل الجميع غرفة واسعة فرأى سليم عند دخولهما حوالي عشرة رجال من أعمار مختلفة تبدو هيئتهم محترمة ينهضون من الأرض واقفين ومرحبين ومعانقين لحامد..

ومصافحين لسليم بحرارة وألفة غريبة.. ثم جلس الجميع إلى الأرض التي يكسوها بساط ثمين وليس فيها من الأثاث سوى مكتبة حائط صغيرة.. وتليفون!
وبعد قليل جاء رجل حاملاً صينية ملأى بأكواب الشاي فتوجه بها إلى رب البيت الذي نهض من جلسته وطاف على الحاضرين يقدم لكل منهم كوبه، فينهض احتراماً للرجل ويتقبل منه الكوب شاكراً. تأمل سليم الحاضرين في صمت ولاحظ لدهشته أنه قد ألف المكان والأشخاص على وجه السرعة.. على عكس طبيعته وتلذذ بمذاق الشاي الساخن وتمنى لو استكمل المتعة بتدخين سيجارة لكنه لاحظ أن الجميع لا يدخنون فكتم رغبته.. إلى أن فوجىء بصاحب البيت يخرج يده من جيبه حاملة علبة سجائر أمريكية ثم يقدم له منها سيجارة فتوقف أمامها محرجاً.. لكن الرجل قال له باسمـا في فهم:
_ لا بأس بالسلوى للقلب الحزين.. فدخِّن ولكن باعتدال فحبيبنا حامد يقول لنا إنك تسرف في التدخين والقهوة.. وهذا ضار بالصحة ولا يليق برجل "كامل" مثلك فشكره وتناول السيجارة منه.. وأسرع بإخراج علبته وقدمها للرجل راجياً أن يتناول إحدى سجائره فتقبلها شاكراً.. وهم بأن يطوف على الجالسين بعلبة سجائره فأعفاه حامد من المحاولة قائلاً له إنهم جميعا لا يدخنون. وبعد قليل تنحنح صاحب البيت ثم قال: درسنا الليلة عن الصبر! فتلقى قلب سليم الإشارة واجفاً.. وانطلق الرجل في حديث مريح استغرق نصف ساعة عن فضل الصبر على الشدائد.. ومنزلة الصابرين عند ر ربهم تخللته عبارات الاستحسان من الحاضرين، واختتمه الرجل باسطاً يديه إلى أعلى وداعياً الحاضرين للدعاء بالصبر لكل المكلومين! وشاركهم سليم الدعاء وهو يتجنب نظرات الحاضرين.. ثم نهض رب البيت داعياً الجميع للصلاة فأدوا صلاة خفيفة وعادوا للجلوس، وعاد الرجل بصينية الشاي فتناولوها بنفس النظام السابق وراحوا يتسامرون بعض الوقت ثم قال رب البيت لأحد الحاضرين: لا حرمنا الله من صوتك! فابتسم الرجل في حياء، ثم رفع يده إلى إحدى أذنيه وانطلق ينشد بصوت جميل:

وقالــوا شـربت الإثـم كـلا وإنمـا
شربت التـي فـي تـركـهـا عـنـدي الإثم
فلا عيش في الدنيا لمـن عـاش صـاحيا
ومـن لـم يمـت سـكـرا بـهـا فـاتـه الحـزم

فجزع سليم للإشارة الصريحة إلى "الخمر" في مثل هذا المجال وراقب الحاضرين خلسة فوجدهم جميعا غير مستنكرين، فلاذ بالصمت وانتهت الجلسة بعد منتصف الليل وغادرها مودعاً بحرارة من صاحب البيت وزواره ومؤكدا لهم عودته إليهم مرة أخرى.. ولم يستطع أن يمنع نفسه من السؤال عما لفت نظره، فسأل حامد وهما يسيران في الأزقة المتعرجة: هذا الرجل الذي غنى هل هو منشد أم مطرب؟

فأجابه الآخر: لا.. إنه موظف كبير بدرجة وكيل وزارة. فسكت قليلاً ثم قال له: ألم تلاحظ أ تلاحظ أنه أنشد شعرا عن "الخمر" في هذا البيت؟ فضحك حامد بابتهاج وقال له: ما قاله ليس من شعره.. لكنه من شعر ابن الفارض.. والكلام عن الخمر فعلاً.. لكن "الإشارات" والرموز أبعد ما تكون عنها والصوفية يتعاطون خمر الحب الإلهي.. لا خمر الحانات!

دخل على طبيبه حاملاً التحليل والأشعات التي طلبها منه ففحصها الطبيب باهتمام ثم رفع رأسه عنها وقال له: كما توقعت تماماً.. لا شيء البتة.. والأرق والصداع وضيق التنفس واضطراب ضربات القلب وفقد الشهية والحيوية ليس لها كلها أسباب عضوية فامتنع عن التدخين أو خفف منه.. ولا تسرف في احتساء القهوة.. وتشاغل عما يزعجك.

فشكره وانصرف وهو يحس بأن زيارته له لم تضف له جديداً.

* * *

تنبهت الزوجة في فراشها فلم تجده إلى جوارها فخمنت أن يكون كعادته طوال الشهور الأخيرة جالساً في غرفة المعيشة يحرق صدره بالسجائر المتواصلة وفناجين القهوة المتتالية، وهمت أن تدعه لحاله لكن صوتاً مكتوماً ترامى إليها، فنهضت من فراشها منزعجة وأسرعت إلى غرفة المعيشة فرأته كما توقعت مرتمياً على الأريكة يجهش ببكاء مرير وجو الغرفة ملبد بدخان السجائر.. فوضعت يدها على رأسه برفق.. وتنبه سليم لوجودها فحاول كتم بكائه بلا جدوى، وشاركته البكاء الصامت لفترة ثم ربتت على رأسه وقالت له: غلبني النوم قبل مجيئك فلم أستطع إبلاغك عما قالته لي الطبيبة هذا المساء.. لقد قالت لي إنني أستطيع الإنجاب مرة أخرى رغم مرور ثماني سنوات على حملي الوحيد، وأكثر من ذلك كانت لطيفة فقبلت أن تصف لي دواء منوما جيدا وتناولت قرصا منه في المساء فاستسلمت للنوم بعد لحظات. فقم معي و وتناول قرصا منه، إنه ساحر المفعول ثم جذبته من ذراعه فاستسلم لها ومضى إلى جوارها إلى غرفه النوم وهي تجفف دموعها الصامتة.. وحلم الاستغراق في النوم بعد تناول القرص الجديد يراوده واعدا بالراحة بعد العناء، والحلم الآخر بإنجاب طفل جديد يتعزى به عن فقد "الغالي" في تلك الظروف المأساوية.. يداعب أعماقه الحزينة ويتردد في باطنه بين الارتياح له.. والشك فيه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

صديقة قديمة!

دخل العمارة التي يقيم بها واستعد لمشوار صعود الدرج إلى مسكنه بالدور الرابع.. فاستجمع قواه وبدأ يصعد الدرج ببطء شديد.. حذره الطبيب منذ فترة من بذل المجهود الكبير خاصة في صعود السلم، لكن كيف يتجنب ذلك وعمارته بلا مصعد ولا أمل في سكن آخر في ظروفه الحالية.. ولا مفر من الاحتمال ومحاولة تقليل الأضرار بقدر الإمكان.

.. لا تبدأ صعود السلم وأنت مرهق بالمشي.. وإنما توقف برهة حتى ينتظم تنفسك وتتخلص من إجهاد المشي.. ثم ابدأ صعود السلم درجة بعد درجة، واشغل ذهنك بالتفكير في أشياء بهيجة تهون عليك الرحلة وتزيد من بطء خطواتك. هكذا نصحه أهل الخبرة.. فالتزم بنصائحهم وعمل بها، وكثيرا ما انتهز فرصة الصعود البطيء ففكر فيما يشغله من أمور.. أو تربص لأي جار نازل في الاتجاه الآخر فحياه وتوقف يتحدث معه في أي شأن ليستريح لحظات.. وفي مرات كثيرة ينظر إلى أبواب الشقق المغلقة ويتذكر سكانها من الجيران.. ويسترجع ذكرياته معهم. عمارته رغم الارتفاع ليست كبيرة فهي من خمسة أدوار وتقيم في كل دور أسرتان.. وقد جمعته الحياة بسكانها منذ عشر سنوات فعرفهم وعرفوه وتبادل معهم علاقات المودة وحسن الجوار.

تجاوز الدور الأول بسلام وبدأ يصعد درجات الدور الثاني فسمع وقع أقدام صغيرة هابطة من أعلى. ما أكثر أطفال العمارة وما أحبهم إلى قلبه. هم أصدقاؤه الحقيقيون في هذه العمارة.. ومعهم يتصرف على سجيته أكثر مما يفعل مع أي جار آخر. اقتربت الأقدام الصغيرة.. فرآها أمامه وتهلل لرؤيتها بأكثر مما يفعل مع أي طفل آخر.. وتوقف لاهثاً وهو يقول في مرح:

_ من هذا "القمر" الجميل الذي يهبط السلم؟

ابتسمت الصغيرة ابتسامة عريضة.. وأفسحت الطريق له ليعبره لكنه لم يفعل، وإنما توقف وقال لها: إلى أين يذهب "القمر" الآن؟

فأجابته بصوت خافت أنها نازلة لتشترى بعض الحلوى من البقال الذي يقع محله في نفس العمارة.. فسأل عن نوع الحلوى.. وعن ثمنها وعن مرات تناولها كل يوم.. وقدم نصائحه الثمينة لها بعدم الإفراط في تناولها حتى لا تفسد هذه الأسنان "اللؤلؤية" الجميلة.. وحتى لا تفسد شهيتها للطعام كما كرر نصيحته المعتادة لها بألا تغادر رصيف العمارة أو تعبر الطريق لأي سبب من ا الأسباب خوفاً عليها من السيارات المسرعة.. وتلقى تأكيداتها بأنها ستفعل ذلك ولم يكتف بالوعد وإنما قال لها إنه سيحسب الزمن من لحظة مغادرتها إلى لحظة عودتها "ليعرف" هل التزمت بوعدها أم أخلفته وسينتظر منها أن تطرق باب شقته لتطمينه على عودتها سالمة.. فإذا فعلت ذلك فسوف يعطيها كتاب الصور وأقلام التلوين التي كان يستخدمها ابنه وهو في

سنها.. ولـم ينس بعد ذلك أن يسألها عن شقيقها وأبيها ثم - عن "ماما" وأجابته بأن الجميع على ما يرام فأفسح لها الطريق.. وواصل الصعود ثم التفت إليها بعد عدة درجات، فوجدها تنظر إليه ضاحكة ولوّح لها مودعاً، ومذكراً بوعدها فلوحت له بيدها الصغيرة ثم واصلت الهبوط بنشاط..

سألها عن "ماما" وأجابت أنها بخير.. ترى هل تحتفظ ذاكرتها الصغيرة بأي أثر "للأخرى" التي انسحبت إلى عالم النسيان؟ يقولون إن ذاكرة الأطفال أقوى مما نعرفه عنها.. فهل تختزن ذاكرتها أي أثر للأخرى الحقيقية؟.

لقد كانت جميلة كالملاك ورقيقة مع الجميع وحزينة حزناً شفيفاً غامضاً يثير عطف كل من يتعامل معها وإشفاقه، تبادر الجميع بالتحية كلما التقت بأحد على درج السلم ولا يفوتها السؤال عن الزوجات والأزواج والأبناء، ولا تفوتها مناسبة لمجاملة جيرانها دون أن تجاملهم فيها بإخلاص، ففي كل المناسبات يطرق طفلها الصغير الباب حاملاً التورتة الجميلة التي برعت في صناعتها في البيت، مع تحيات ماما وتهنئتها، وفي المناسبات الحزينة تذهب مبكرة وتشارك أصحابها بدموعها الغزيرة.

ومن زوجته عرف أنها زوجة لمحاسب شاب يقيم في الشقة التي تعلو مسكنها مباشرة وأنها أم لطفل في الخامسة وحامل في وليـد جديد تنتظره بشغف، ورقيقة وغزيرة الدموع في كل الأحيان. وسمع من زوجته أن جارة لها عاتبتها بفظاظة ذات يوم لأن ابنها ضرب طفلتها خلال لهوهما في مدخل العمارة.. فانفجرت باكية وهي تعتذر لها بحرارة حتى ندمت الجارة على غلظتها معها.. وتأسفت لها كثيرا.

ومن زوجته أيضا عرف أنها تزوجت زميلاً لها بالكلية بعد قصة حب عميق بينهما، وأنها كافحت طويلاً مع أبويها لإقناعهما بفتاها الذي لم يكن يملك إمكانيات الزواج ولا تعدها الحياة معه إلا بحياة متقشفة لا تقارن بحياتها السابقة في بيت أبيها الطبيب الناجح، وأنها رفضت العريس الجاهز الذي رشحته لها جارتها والذي يملك شقة مناسبة في حي راق.. وسيارة حديثة.. ودخلاً يمكنها من الحياة المريحة وتمسكت بفتاها الـمكافح الـذي حصل بمعجزة على شقة صغيرة في الدور الخامس في بيت قديم بلا مصعد.. وجفت إمكانياته فعجز عن تقديم أي شيء آخر، وتكلفت هي بباقي تكاليف الجهاز وتنازلت عن أحلام الزفاف الفاخر في فندق كبير.. ورضيت من الحياة بزوج تحبه ويحبها ويتعاونان معا على أعباء الحياة، وأعانها أبوها بمبلغ شهري صغير رافضاً بإصرار السماح لها بالعمل لأن صحتها لا تحتمل إجهاد العمل ورعاية بيت وطفل صغير.. وسعدت بحياتها مع زوجها وإن كانت قد تعرضت لأزمة صحية شديدة عقب ولادتها لطفلها وأقامت شهورا بعد الولادة في بيت أبيها ثم ظهرت ذات يوم أمام مدخل العمارة حاملة وليدها وآثار المرض بادية في وجهها الجميل فتسارع الجيران لتهنئتها بالعودة والإنجاب. وتواصلت حياتها بعد ذلك هادئة.. لا يسمع - لها الجيران صوتا ولا يرونها إلا على درج السلم

ممسكة بيد طفلها فتبدأ بالتحية والسؤال عن الأبناء، وتتبادل الحديث لحظات مع من يصادفها ثم تودعه باحترام.
وترامت الأنباء إلى المهتمين.. بأنها تمضي فترات طويلة في فراشها وتتحامل على نفسها لتقوم بواجبها تجاه زوجها وطفلها.. وأن علاقتها بطفلها غريبة ومثيرة للتأمل فهي لا تنهاه عن شيء.. وإذا أخطأت مرة ونهرته فبكى كانت دموعها أغزر من دموعه وندمها أسرع من غضبها. وإذا أبدى تجاهها أي بادرة تمرد طبيعية من أمثاله من الأطفال بكت بالدمع الغزير وعاتبته كما تعاتب المرأة رجلاً رشيدا وقالت له: أهكذا يكون جزائي منك لأني أحبك كل هذا الحب؟ أهكذا يكون جزاء الحب الذي أحمله لك.. ثم تواصل البكاء بلا نهاية حتى يضطرب الطفل الصغير ويندم ويعتذر لها، فيتعانقان بحرارة ويواصلان علاقتهما الحميمة! تناقلت الجارات عنها ذلك فقالت جارة خبيثة إنـهـا تـخاطب زوجها في شخص طفلها وأنها "مصدومة" في زوجها الذي ضحت من أجله بالحياة المريحة فلم يعوضها زوجها بحبه عن تضحيتها.. وإنما جرفته معركة الحياة وشغلته عن إشباع احتياجاتها العاطفية.. وتحول بعد الزواج والإنجاب إلى زوج تقليدي مهموم بأعباء الحياة.. ولا وقت لديه لزوجته التي مازالت تعيش في الخيال.
لكن أحداً لم يسمع عنها ما يؤيد هذا الزعم أو يؤكده فلم يتشاجرا مرة أمام أحد.. ولم تسمع زوجات الجيران منها يوما شكوى من زوجها حتى ولو فسرت بعضهن ذلك بدافع الغيرة منها غالبا بأنها ترفض الاعتراف لنفسها بصدمتها في الحب حتى لا تذهب تضحيتها هباء، أما هو فكثيرا ما قابلها مصادفة في مدخل العمارة أو على درج السلم فبادرته كعادتها مع الجميع بتحيتها الرقيقة وسؤالها عن زوجته وطفله ورد تحيتها بحب واحترام.
ثم يوما صادفها هابطة الدرج وهي في أيام حملها الأخيرة، وقد بدا الإجهاد واضحا على وجهها، فعرض عليها إن كانت في حاجة إلى شيء من المحلات التجارية أن يأتيها به لتوفر على نفسها مشقة نزول السلم وصعوده.. فشكرته بحرارة وأكدت له أنها في حاجة للمشي تنفيذا لأوامر الطبيب.
وبعد أسبوعين من هذا اللقاء العابر دخلت المستشفى لتضع مولودها فكانت طفلة "جميلة" كما عرف من زوجته، وغادرت المستشفى إلى بيت أبيها لقضاء فترة النقاهة فيه فطالت غيبتها عن العمارة، وأغلق زوجها شقته واصطحب طفله الصغير إلى بيت أمه وأقام فيه.
وطالت غيبتها عن المألوف في مثل هذه الظروف فزارتها زوجته وبعض سيدات العمارة في بيت أبيها، وعدن مكتئبات لتدهور صحتها وبطء شفائها.
ويوماً صحا من نومه ودخل الحمام ثم اتجه إلى غرفة المعيشة فوجد زوجته جالسة أمام مائدة الإفطار تقرأ صحيفة الصباح ودموعها تنساب في صمت، فتساءل متوجسًا عن الخبر فقدمت له الصفحة التي تقرؤها.. فتوقفت عيناه على صورة الجارة الرقيقة متصدرة صفحة الوفيات!

ومضت شهور طويلة بعد ذلك والشقة العلوية مغلقة كما هي وساكنها غائب عن العمارة.. ثم أحس ذات يوم بدبيب حياة جديدة فيها.. وعرف من زوجته أن جارها قد عاد للسكن في شقته طفلته.. ومع زوجته الجديدة! زوجته الجديدة! نعم زوجته الجديدة، فقد تزوج من إحدى قريباته مستأذناً والدي زوجته الراحلة اللذين سلما بحقه في الزواج ليجد من يرعى طفليه الصغيرين، ورأى الزوجة الجديدة ذات يوم مع زوجها فتذكر الراحلة الجميلة بأسى وتمنى من أعماقه أن تكون رحيمة بالطفلين البائسين، وباهتمام خفي حرص على تأمل الأطفال الذين يصادفهم في ردهات العمارة.. باحثاً عن الطفلة الصغيرة التي لم تهنأ أمها بصحبتها طويلاً.. وتعرف عليها للوهلة الأولى حين رآها من ملامح وجهها المريحة التي تعيد إلى الحياة صورة أمها الغائبة.. وخصها بعطف خفي واهتمام كبير.. وتكررت مداعباته وهداياه لها من قطع الحلوى والشيكولاته حتى أنست له وأحبته غافلة عن دوافعه الأليمة للاهتمام بها، وتكررت دعواته لها بأن تزوره في بيته حتى استجابت لدعوته وقابلتها زوجته بحفاوة بالغة.. فاعتادت الطفلة بعـد قليل أن تطرق بابه من حين إلى آخر، فيفتح لها الباب ويتهلل لرؤيتها ثم يصطحبها بحماس إلى داخل شقته، ويدعوها لتناول الشاي ومشاهدة التليفزيون معه ويثقل جيوبها عند انصرافها بقطع الحلوى.. وألفت زوجته إذا فتحت لها الباب أن ترحب بها ثم تناديه قائلة له إن "صاحبته" قد جاءت لزيارته!.. لم تبلغ الخامسة بعد لكنها صورة مكررة من أمها في ملامحها الجميلة الحزينة بلا سبب واضح.. وفي سرعة استجابتها لمشاعر الآخرين واستعدادها لحبهم.

قال لنفسه ذلك مختتماً تأملاته وهو يدير مفتاحه في شقته فما إن عبر مدخلها حتى جاءه صوت زوجته من المطبخ:

_ رأيتك من الشرفة تدخل العمارة منذ ثلث ساعة فماذا فعلت في هذا الوقت الطويل؟

فأجابها وهو يخلع جاكتته ويضعها على مقعد في الصالة:

_ قابلت صديقة قديمة على السلم.. فتحدثت معها بعض الوقت!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون E-BOOK

لعبة الشتاء!

توقفت سيارة الأجرة في الميدان الواسع فغادرها جمال متدثراً بمعطفه، وعبر الطريق في اتجاه المقهى الكبير آملا ألا تكون الموجة الباردة قد حجبت أصدقاءه في منازلهم، في المقهى يلتقون كل مساء منذ سنوات.. لكن في مثل هذا الجو البارد يتخلف بعض الرفاق متكاسلين.. عن مغادرة البيوت الدافئة بأنفاس الزوجات والأبناء... ويصمد للعاصفة من كان عزباً وحيداً مثله.

دخل المقهى فاتجهت أنظاره في لهفة إلى ركن الأصدقاء، ورأى مصطفى وعبد الكريم يلعبان الدومينو فابتهج باطنه لمرآهما.

تبادلوا التحية بود ودعاه الصديقان لمشاركتهما اللعب فمد يده إلى قطع الدومينو وهو يقول مشيراً للغائبين هنيئاً للسعداء.. سعادتهم الزوجية!

فأجابه مصطفى، وكان لا يقل حرصاً منه على سهرته اليومية مهما كان الجو بارداً: بل قل هنيئاً "للأنذال" الذين يتخلفون عنا كلما سقطت نقطة مطر.. نذالتهم!

وضحك الثلاثة وتهيأوا لبدء المباراة.. متعة اللعب وإثارته لا تكتملان إلا حين يجتمع شمل الأصدقاء كلهم فيشتركون في مباريات حامية ومن حولهم الآخرون يعلقون ويتندرون ويسلخون المهزومين بسخرياتهم اللاذعة فيمضي الوقت بهيجاً حافلاً بالإثارة.. جـمعتهم العشرة وزمالـة الـدراسة أو العمل منذ سنوات طويلة فأصبحوا عصبة مترابطة تمضي سهراتها في هذا المقهى كل ليلة.

مضى اللعب فاتراً بلا إثارة حقيقية وانتهى أحد أدواره، فاقترح جمال أن يلعبوا دوراً جديداً، وقبل أن يتهيأ الآخرون للاستجابة بلا حماس لفت نظرهم شخص غريب الهيئة دخل إلى المقهى في خطوات متثاقلة وعبر مائدتهم بوقار إلى مائدة خالية.. كان يرتدي بدلة سهرة أنيقة وربطة عنق حمراء.. ويلف حول رأسه عامة هندية وردية اللون بدت مناقضة لمظهره الوقور فتساءلت عيونهم من يكون هذا الشخص الغريب؟

وبدأوا اللعب في صمت ثم قال مصطفى فجأة:

_هيئة غريبة.. ما معنى هذه العمامة الهندية مع بدلة السهرة السوداء، فالتفت عبد الكريم إلى الرجل وراقبه ملياً ثم قال:

_ لعله ساحر يقدم فقرته في الملهى الليلي القريب؟ وجاء الجرسون.. بالشاي الساخن إلى الأصدقاء فسألوه عن الرجل فأجابهم:

_ إنه قارئ طالع.. يأتي إلى المقهى أحياناً في الصباح ويجلس إلى نفس المائدة.. ويقرأ الطالع لمن يريد لكنه متكبر ويطلب من الزبائن الانتقال إليه في مائدته ويعاملهم بعظمة تغيظ!

فضحك مصطفى قائلاً: لعل ذلك من أصول النصب الذي يمارسه!

فعاد الجرسون يقول: كفاكم الله شره فهو مؤذ، وقد قال لصاحب المقهى إن زوجته ستمرض بعد نقطة، فلم يمض شهر حتى مرضت فعلاً مرضاً شديداً وأجرت جراحة كادت تموت فيها.
فقال عبد الكريم برزانة: مجرد مصادفة.. فقال الجرسون وهو يتحرك: صدقت تنبؤاته السيئة لكثير من رواد المقهى حتى أصبحت أتشاءم منه!
ومضى حاملاً الصينية فتبادل الأصدقاء السخرية من الرجل وتنبؤاته "الصادقة" وعادوا للعب لفترة ثم قال جمال فجأة: لماذا لا ندعوه لقراءة طالعنا ونمتحن صدقه؟
وتحمس مصطفى للفكرة وكان أكثرهم ميلاً للسخرية والمرح:
_فكرة نسلي بها وقتنا.. ونجد ما نضحك عليه! ولم يتحمس عبد الكريم للاقتراح، لكنه آثر ألا يعارض صديقيه فنهض داعياً الرجل إلى الانضمام إليهم.. وعاد به بعد نقاش قصير فألقى عليهم تحية المساء بتحفظ وقال بلهجة متعاظمة: أنا لا أنتقل إلى موائد الزبائن.. لكن صديقكما قال لي إنكم ثلاثة وأنا واحد فقبلت المجيء!
وشاعت السخرية المكتومة من كبرياء الرجل في عيون الأصدقاء الثلاثة، لكنهم لم ينبسوا بكلمة احتراماً لمشاعره، وقطع جمال الصمت قائلاً له:
_ نريد أن نعرف حظنا!
فأجابه باقتضاب: خمسة جنيهات لكل فرد.. وأي لمحة سخرية من جانبكم سأرد عليها بما يناسبها!
فدهش الأصدقاء وتبادلوا النظرات المعبرة ثم قال جمال: لماذا تقول ذلك.. نحن صادقون في رغبتنا في معرفة حظنا..
فأجاب الرجل: عيونكم تنطق بغير ذلك.. لهذا أردت تحذيركم وكأنما أحس الرجل بأن "مصطفى" هو أكثرهم استعدادا للسخرية منه فاختاره عن قصد ليبدأ به مهمته ومد إليه يده طالباً كفه.. وراح يدقق فيها باهتمام ثم قال:
_ زوج وأولاد!
فهمّ مصطفى بأن يقول له إنه لم يأت بجديد لأن دبلته الذهبية تنبئ عن زواجه لكن الآخر لاحقه بكلماته المذهلة:
_ وكأنك لم تتزوج ولم تنجب.. فالزوجة كثيرة الشجار والخصام والأولاد منحازون إليها دائمـاً!
فبهت الأصدقاء الثلاثة.. وتبادلوا نظرات الدهشة التي راقبها القارئ شاعراً بانتصار كأنما يقول لهم: الآن ستبدأون في التعامل معي بجدية واحترام!
ثم واصل حديثه:
وفى العمل: واحدة ليست من دمك تستريح إليها بل الحق إنك واقع في غرامها، وتتمنى لو كانت في بيتك في مكان التي تنغص عليك حياتك.
فاحمر وجه مصطفى قليلاً وواصل الآخر حديثه:

_ وطريقـك معها مسدود.. فـزوجها لـن يطلقها رغم الخلافات بينهما ولا هي تريد الطلاق منـه حبـا لأطفالها.. وهي تستجيب لك أحياناً وتعـود لرشدها في معظم الأحيان وتنبذك.. ولا تستجيب لتوسلاتك ودموعك! وأنتما الآن في حالة تفاهم مؤقتة لكنها لن تطول.. وسوف تلفظك من حياتها إلى الأبد.. وسوف تبكي أنت بلا نهاية! فوجم مصطفى وسحب يده من يد الرجل فقال له الآخر:

_ مازالت في كفك خطوط أخرى!

لكن مصطفى أخرج حافظة نقوده ونقده أجره وهو يقول:

_شكراً.. اكتفيت بهذا القدر!

وتناول الرجل النقود ووضعها في جيبه باسمـاً وشـاعـراً بالانتصار على من توسم فيه العـداء، ثم اتجه إلى جمال فمد إليه كفه باستسلام وبعد لحظات قال له:

_ وحيد في الدنيا تبحث عن الأمان والحنان! فلم يتمالك جمال نفسه وكان أقربهم إلى روح المهادنة وقال له بعفوية:

_ كيف عرفت ذلك؟

فبادره عبد الكريم بالإجابة قائلاً له بهدوء يتفق مع تحفظه وميله دائماً لتحكيم العقل:

_ هذا واضح.. فأنت لا ترتدي دبلة الزواج! فرمقه الرجل بنظرة تحد قصيرة ثم عاد لقراءة الكف المبسوطة:

_ ضيّعت حبك الحقيقي في أيام البراءة والسعادة وطالما توسلت إليك أن تفي بوعدك لها وتتقدم لخطبتها لكي تنقذها من الزواج ممن لا تحب.. ولطالما شجعتك وهونت عليك مصاعب البداية، لكنك ترددت وتخاذلت وتركتها تتزوج من لا تحب وندمت على ذلك كثيرا ومازالت تندم حتى الآن!

فتضرج وجه جمال بالاحمرار وردد نظره بين صديقيه حائراً فعاد عبد الكريم إلى التعليق:

_ لا تخلو حياة أعزب فوق الثلاثين من قصة مماثلة! فرمقه الرجل بنظرة أخرى كالإنذار ثم قال:

_ ومن عجب أنك مازلت تدفع ثمن غدرك بها حتى الآن وكما بكت فتاتك بين يديك مستعطفة شهامتك بكيت أنت بين يدي أخرى أحببتها بعـد سنوات مستعطفاً وراجياً فلم ترحم ضعفك وفضلت عليك شخصا آخر.. ولعلها قد أنجبت منه الآن لكنك مازلت تأمل فيها وتنتظر عودتها من السفر.

فسأله جمال ذاهلاً: أي سفر؟

فأجابه: سفرها مع زوجها إلى حيث يعملان الآن في الخارج فلم يدر جمال بنفسه إلا وهو يسأله بلهفة "مؤلمة":

_ وهل أنجبت حقاً من زوجها؟

فقال له الآخر بتؤدة: لا يبدو هذا واضحاً في خطوط كفك.

فعاد جمال يسأله بنفس الاهتمام: وهل ستواصل حياتها مع زوجها للنهاية؟

وتنبه إلى نظرات صديقيه المشفقة فجأة فأحس بالخجل وأطرق برأسه في حين أجابه الرجل باقتضاب: نعم.
وسحب جمال كفه من يد الرجل ونقده أجره والتفت هو إلى الصديق الثالث منتظراً أن يمد إليه كفه، لكن عبد الكريم انكمش في مقعده قائلاً له:
_ شكراً.. لا أريد!
فقال له الرجل: إذن ستدفع أجري كاملاً لأني دعيت لقراءة طالع ثلاثة أشخاص لا اثنين!
وفكر عبد الكريم لحظة أن يعترض، ويرفض لكنه آثر السلامة وأخرج حافظة نقوده.. وبعد أن نقده "أجره" قال له: خبرني من فضلك.. كيف تدعي العلم بالمستقبل؟ فأجابه الرجل في ثقة: موهبة من عند الله! فعاد عبد الكريم يقول: لكن الله لم يعط علمه بالغيب لأحـد.. فتهيأ الرجل للنهوض وقال زاهداً في النقاش:
_ لكن هكذا تجري الأمور معي دائماً وليس عندي تفسير ذلك!
ونهض من مقعده فوضع عبد الكريم يده في ذراع الرجل قائلاً: سؤال أخير من فضلك.. هل قرأت لنفسك طالعك؟ فأجابه الرجل واقفاً:
_ نعم قرأته وقال لي إني من المحظوظين فسأعيش طويلاً وسأحتفظ بصحتي حتى آخر لحظة من عمري!
ثم قبض عـلى يـد عبـد الكريم فجـأة وقلبها في لمحة وتأمـل كفه للحظات قبل أن يتيح لـه فـرصة الاعتراض ثـم قـال له: لا أقبـل أن أتقاضى أجـراً دون عمل.. لهذا سأقرأ لك خطاً واحداً من خطوط كفك: سواد سترتديه قريبا بعد نقطة أو نقطتين.. وستبكي كثيرا وقبـل أن تـجـف الدمـوع.. ستتجدد الأحزان مرة أخرى بسواد جديد! آسف لذلك، لكن هذا ما تقوله كفك!
ثم أخلى يده واتجه بخطوات متعاظمة إلى خارج المقهى.
ووجم عبد الكريم.. وخيم الصمت على الأصدقاء الثلاثة لفترة وتبادل جمال ومصطفى النظرات المتفاهمة.. ثم قال مصطفى متخيراً كلماته:
_ إنهم يحفظون عبارات تقليدية مبهمة يكررونها لمن يلجأ إليهم فيفسرها كل إنسان بما يتلاءم مع ظروفه، وسانده جمال في مهمته قائلاً:
_كما أنهم يعتمدون على فراستهم في تحليل شخصيات المتعاملين معهم فيوهمونهم بقدرتهم على معرفة الماضي.. والمستقبل! لكن عبد الكريم كان قد استسلم تماماً للانقباض فقال بوجوم:
_ لقد حكى عن حياتكما الشخصية مالا يعرفه أحد غيرنا.. فقـال مصطفى مهوّناً الأمر: لعله تسقّط بعض أخبارنا من جرسون المقهى أو من ماسح الأحذية، ونحن كثيراً ما نتحدث بلا احتراس عن شئوننا في جلساتنا الخاصة اليومية.
فواصل عبد الكريم وجومه وقال:

_ وتنبأ بمرض زوجة صاحب المقهى فمرضت وكادت تموت كما أبلغننا الجرسون. فأجابه جمال منفعلاً: هل تصدق هذه الخزعبلات حقاً.. وبدا واضحاً أن اللعبة التي أرادوا بها تسلية الفراغ قد انتهت نهاية محزنة.
فرغب مصطفى في تغيير الجو الكئيب وقال متظاهراً بالمرح:
_ أنا الذي أقنعته بالمجيء معي.. وعقاباً لي أدعوكما لعشاء من الفتة والكوارع يناسب هذه الليلة الباردة.. هيا بنا.
فقال عبد الكريم بصوت خافت: ليس الليلة فلقد انقبض صدري من حديث هذا الرجل. فقال مصطفى: هل صدقت هذا النصاب حقاً!
وشاركه جمال في محاولة التسرية عنه وإقناعه بالنهوض معهما للعشاء وكانا قد نجحا أخيرا في ذلك حين دوى فجأة صوت كالصرخة المولولة لفرملة إطارات سيارة تلاه صوت مزعج لارتطام شديد مصحوب بصرخات مفزعة.
وسكتت أصوات المتحدثين بالمقهى ثم صاح أكثر من صوت: يا ساتر يا رب!
وهرول بعض الرواد إلى خارج المقهى لاستطلاع الأمر وبعد لحظات رجع إلى المقهى شخص اتجه مهرولاً إلى تليفون وتلاه آخرون اتجهت إليهم أنظار الجالسين فقال أحدهم:
_ يا إلهي حادث تصادم مروع على بعد خطوات من المقهى!
وقال آخر: سيارة مرسيدس مسرعة صدمت رجلاً كان يعبر الطريق غافلاً عن الإشارة الحمراء!
وقال ثالث: مازال فيه نبض الحياة لكنه حتى لو نجا من الموت فسيمضي باقي عمره كسيحاً على الأرجح.. مسكين!
وقال رابع: مؤكد أني رأيت هذا الرجل في المقهى من قبل فهيئته غريبة ولا تمحى من الذاكرة ببدلته السوداء.. وعمامة رأسه العجيبة!
فتصاعد اهتمام الأصدقاء الثلاثة بها سمعوا إلى القمة وتبادلوا النظرات الطويلة المترددة بين الدهشة.. والإشفاق.. والارتياح.. ثم نهضوا واتجهوا إلى خارج المقهى متجنبين النظر ناحية الزحام الملتف حول المصاب الملقى على أرض الطريق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

أوراق الزوجة

راحت الزوجة الشابة تعوّض افتقادها لعطف زوجها واهتمامه بالكتابة في دفتر صغير تجلس إليه من حين لآخر في المساء، وتسجل فيه أفكارها ومشاعرها وخطرات نفسها وتحتفظ بهذا الدفتر الثمين في دولابها، وتحرص على ألا يطلع عليه زوجها. ورآها زوجها ذات مساء مشغولة بالكتابة في الدفتر الصغير، فسخر من اهتمامها بهذه الأوراق بدلاً من استثمار وقتها في "شيء مفيد" للأسرة.. وسألها: لماذا تضيعين وقتك في هذا العبث؟ فنظرت إليه ساهمة ثم قالت له بأسى: لو كنت أستطيع أن أتكلم معك.. لما لجأت إلى الكلام مع الورق!

فغضب "للإشارة" التي طالما ألمحت له بها في مناسبات سابقة وقال لها: ماذا تكتبين في هذه الأوراق:

فأجابته في هدوء: أكتب فيها كل ما لا أستطيع أن أقوله لك وجهاً لوجه لانشغالك عني.. أو لخوفي من سخريتك منه إذا حدثتك عنه. ولم يقتنع الزوج بمبررات زوجته.. ولم يجد في نفسه دافعاً قوياً لأن يحاول الاقتراب من عالمها الخاص الذي اتخذته لنفسها منذ عامين أو أكثر.. وبدا له أن من الأفضل لسلام الأسرة ألا يعترض عليه وواصل أسلوب حياته وانشغاله عن زوجته بعمله وعلاقاته الاجتماعية.. واتسعت الهوة بينهما شيئاً فشيئاً حتى لم يعد يجمع بينهما شيء إلا روابط الأسرة التقليدية والطفل الذي جاء ثمرة للحب القديم.

ثم عاد الزوج بعد يوم مرهق في العمل إلى البيت عند الأصيل فوجد على مائدة السفرة ورقة صغيرة من زوجته تنبئه فيها أنها ستغيب حتى المساء مع طفلها لحضور حفل ميلاد أحد أطفال الجيران.. ووجد الدفتر الأزرق الذي تسجل فيه زوجته خواطرها منسياً على المائدة.. وقدر أنها كانت تكتب فيه كعادتها ونسيته في مكانه على غير عادتها. ونظر إليه باهتمام خفي.. وتردد في أن يفتحه محاولاً أن يحتفظ لزوجته بخصوصيتها، لكن فضوله غلبه في النهاية ففتحه بحرص وبدأ يقرأ خواطرها، ففوجئ بأنها قد كتبت فيه على صفحات عديدة بتواريخ مختلفة كلمات حارة تعبر بها عن افتقادها للحب في حياتها.. ويأسها من إحياء الحب القديم الذي جمع ذات يوم بينها وبين زوجها، ولاحظ تصاعد نغمة الشكوى من جفاف عاطفة زوجها تجاهها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر إلى أن وصلت الكلمات الصريحة إلى تصوير جفاف عاطفتها هي أيضا تجاهه بعد أن طال تجاهله لمشاعرها واحتياجاتها العاطفية. وتصبب العرق من جبهته وهو يقرأ هذه الكلمات المنذرة بالخطر.. ثم خفق قلبه بشدة وأحس بلهب الغضب يحرق صدره.. حين قرأ كلمات أخرى أكثر جرأة تتحدث فيها زوجته بصراحة جارحة عن عيوبه.. وانشغاله عنها وتجاهله لمشاعرها واحتياجاتها النفسية والعاطفية.. وتقول فيها بصراحة إنه بذلك قد مهد

"أرضها" لاستقبال أول بذرة حب حقيقي ستلقى فيها، وأن هذه البذرة ستنمو وستثمر زهرة جديدة في حياتها المجدبة ولن تستطيع أن توقف نموها إذا سقطت على أرضها العطشى.. لأن زوجها قد حرث لها الأرض ومهد لها الجو الملائم بتوقفه عن ريـها بماء حبه منذ فترة طويلة، وتصاعد الدم إلى وجهه وهو يقرأ عن "حلمها" بأن تلتقي ذات يوم بهذا الفارس المجهول الذي سيظهر فجأة أمامها.. ويبعث الحياة في مشاعرها وتقول عنه في أوراقها "بلا حياء" سأقاومه طويلاً لكني سأنهزم أمامه في النهاية.. وسأسلم له رايتي وأمضي وراءه تاركة كل شيء ورائي.

وتوقف الزوج عن مواصلة القراءة وجلس ذاهلاً يفكر في زوجته.. وفي حياته معها.. وتساءل في باطنه مراراً عما تعنيه هذه الكلمات الجارحة من دلالات خطيرة.. هل تعني أنها قد كرهته وانتهى الأمر ولم تعد تحبه كما كان يتصور.. لقد خانته بأفكارها على الورق فهل خانته أيضاً على أرض الواقع.. هل ظهر هذا الفارس المجهول الذي ستمضي وراءه تاركة كل شيء.. وماذا عنه وعن طفلها نعم إنه مشغول عنها بعمله وطموحه.. لكنه يشقى ويعمل من أجلها أيضا فمتى بدأت إبحارها في الاتجاه البعيد عنه، لقد التقى بها منذ تسع سنوات حين انتقلت إلى الشركة التي يعمل بها.. وأعجب بجمالها وهدوئها وسمعتها الطيبة فاقترب منها وركز كل جاذبيته عليها حتى بدأت تستجيب، واعترفت له بحبها، وتم الزواج على عجل ومضت الحياة بينهما جميلة معطرة بعبق الحب والعطف خلال الأعوام الثلاثة الأولى، واستجاب لرغبتها الملحة في الإنجاب رغم محاولته تأجيله لسنوات أخرى حتى لا تعوقه مسؤولية الأطفال عن تحقيق طموحه في الحياة العملية.. فلقد كان يحلم بمنصب مدير المبيعات في شركته الكبرى، ويجهد نفسه في العمل وفي الاقتراب من رؤسائه ومجاملتهم وأداء خدمات إضافية لهم في العمل وخارجه على حساب الوقت المخصص لزوجته أملاً في تحقيق هذا الحلم الذي يرى نفسه جديراً به. وشاركته زوجته طموحه في البداية وشجعته عليه، لكنها طالبته بألا ينسى واجباته تجاهها وتجاه طفلهما الوليد الذي تخلت هي عن طموحها في العمل من أجله واستقالت من عملها لتتفرغ لتربيته ورعاية زوجها. لكن عجلة الطموح جرفته في دورانها الهادر حتى النهاية.. فلم تعد زوجته تراه إلا لحظات في المساء مجهداً شاكياً من الصداع وآلام الظهر وتيبس المفاصل.. ولم تعد مائدة الغداء أو العشاء تجمعهما معا أكثر الأيام، فهو إما في لقاء عمل أو في زيارة مع مديره لأحد العملاء.. أو مرهق يتناول عشاءه معها خطفاً وهو يغالب النوم، ويغادر المائدة وهي لم تكد تبدأ عشاءها ويهرع إلى غرفة النوم فيستلقي على الفراش كالقتيل ويصحو في السادسة صباحا.. وينصرف إلى عمله وهي مازالت نائمة.. فتمضي معظم أيامها وحيدة تنتظره.. وتتلهف على مكالمة تليفونية منه يقول لها فيها كلمة واحدة تذكرها بأنها إنساناً خاصاً وعزيزاً لديه.

أما في عطلة نهاية الأسبوع فهو يستسلم للنوم معظم أوقات النهار أو ينهي أعماله المتأخرة في البيت أو يتودد إلى رئيسه في العمل ويقوم نيابة عنه باستقبال عميل في المطار.. أو توديع عميل آخر.. أو تنظيم برنامج زيارة لبعض عملاء الشركة.. وأسبوعاً بعـد أسبوع يعـد زوجته بأنه سوف يـخلي نفسه من كل التزام في عطلة نهاية الأسبوع لكي يرافقها مع طفلها في الخروج إلى حديقة الأطفال.. أو تناول طعام الغداء في النادي أو يصطحبها إلى السينما أو إلى زيارة الأهل أو الأصدقاء كما كانا يفعلان في بداية زواجهما.. فتمضي الأيام دون أن ينجح في الوفاء بوعده مرة واحدة وتزداد فترات عدم التقائهما.. وينحصر الحديث بينهما في شئون البيت والعمل والطفل والمدرسة والالتزامات المادية.. وتزداد فترات الصمت بينهما خلال اللقاء.. لكنها رغم ذلك كانت حريصة دائما على العناية بكل شئونه.. وبإعداد ملابسه.. وترتيب حقيبة أوراقه.. فمتى بدأ تـحولها عنه؟

لقد ظهر هذا الدفتر اللعين في يدها منذ حوالي عامين، ويومها سخر من محاولاتها للكتابة، فغضبت منه وذكّرته بأنها كانت تكتب في مجلة الكلية أشعاراً وكلمات رقيقة.. لكن مشاغل الزواج والإنجاب شغلتها عن هوايتها.. ومن حين لآخر بدأ يراها تكتب فيه.. وترفض إطلاعه على ما تكتبه.. هل يحبها؟ نعم يحبها ولقد كان يعتقد أن الحب وحده يكفي للاحتفاظ بمشاعر زوجته، فعرف الآن ومن هـذا الدفتر اللعين أنه لا يكفي في حد ذاته، وإنا لابد أيضاً من التعبير عنه بكل وسيلة لـمـن يـحب حتى لا يفقده.. وهو لم يساوره الخوف من أن يفقد حب زوجته فلم يحاول الحفاظ على اشتعال جذوة الحب بينهما بما يلقيه عليها وإنما من قطع الخشب الجديدة التي تزيدها اشتعالاً.

أشعل سيجارته الثالثة.. وتساءل: هل يعتبرها خائنة؟ إنها أمينة مع نفسها وإحساسها بالمسؤولية العائلية ومسؤولية الطفل لا يسمحان لها إلا بأن تكون مخلصة ولو طالت معاناتها.. فهل يدعوه ذلك للاطمئنان؟ وماذا بعد الاطمئنان.. هل يستطيع استعادتها لو أراد.. وماذا لو حقق كل طموحه في الحياة وخسر زوجته وطفله.. هل سيسعده ذلك وهل يعوضه عن حب زوجته القديم له وحنانها ورفقها به؟!. لقد أعفته من كل مسؤولية عن البيت والطفل وشئون الحياة لتوفر له التفرغ الكامل لعمله.. فحتى ملابسه تختارها له بعناية.. وهي التي تتابع دراسة طفله في البيت وفي المدرسة.. وهي التي تصطحبه إلى الطبيب ليتلقى الرعاية الطبية اللازمة في مواعيدها الدورية.. وهي التي تقوم بنظافة البيت وتجميله وتنسيقه بنفسها.. وتزرع الزهور في كل مكان.. وتتفنن في توفير نفقات البيت فيبدو في أجمل صورة بأقل التكاليف.. وحين يحتاج إليها لترافقه في زيارة لبيت أحد رؤسائه تحظى باحترام الجميع لجمالها ومظهرها المحترم ورقة تعاملها مع الآخرين، فكيف لم ينتبه إلى هذه "الثروة" التي بين يديه فكاد يفقدها بالتجاهل والاطمئنان الغافل إلى أنها ملك يمينه؟ ولماذا لا تعرف قيمة الأشياء إلا حين نوشك أن

نفقدها ويتهددنا خطر الحرمان منها.. وكيف يستطيع أن يسترد قلبها الذي يهفو الآن بصراحة مؤلمة إلى فارس جديد يحيي مشاعرها العاطفية اليابسة، ويلبي احتياجاتها النفسية التي توقف شريك الحياة عن إشباعها وتلبيتها.. وهل فات الأوان حقا.. أم مازالت الفرصة قائمة؟ هل ستصفح وتنسى وتتسامح كما اعتادت أن تفعل وكما تسامحت معه من قبل حين ترامت إلى أسماعها أخبار "اهتمامه الزائد" بشقيقة مديره المطلقة التي تعمل معه بنفس الشركة.. والذي يعلق عليه أمله في حركة الترقيات القادمة؟ لقد بكت طويلاً وواجهته مواجهة صاخبة بما سمعت ولـم تقتنع اقتناعاً كاملاً بدفاعه عن نفسه أو مبرراته لهذا الاهتمام.. ومع ذلك فقد آثرت بعد فترة أن تقبل اعتذاره.. ووعوده لها بأن يتوقف عن هذا "الاهتمام" مهما كانت دوافعه ومرت السحابة بسلام، وتصور أنها قد عبرت سماءها إلى الأبد حتى قرأ هذه المذكرات اللعينة لقد اعتبرتها خيانة للحب الذي ضحت من أجله بعملها ومستقبلها وطموحها الشخصي. وسجلت في أوراقها أنها لم تعد تطيق أن يلمسها زوجها بعد أن عرفت أنه يستطيع حين يريد أن يوفر الوقت اللازم لكي يهتم بامرأة أخرى سواها وهو الذي يبرر إهماله لها دائما بكفاحه في العمل لتوفير حياة أفضل لها ولطفلها.

وعلى هذه الصفحة بالذات فتح الدفتر الصغير وظل ممسكاً به في يده لفترة طويلة مستسلماً لأفكاره وخواطره المقلقة.. وفكر طويلاً في أن يواجه زوجته بها عند عودتها وبالصفحة الأخرى التي تتحدث عن شوقها الأليم للفارس المجهول.

واستراح لفكرة المواجهة.. وقرر أن يتحمل تبعاتها للنهاية حتى ولو كان الانفصال هـو الثمن، فلابد من أن توضح له معنى هذه الكلمات الخطيرة، ولابد أن يتأكد من أن هذا الفارس المجهول لـم يظهر ومن أنها سترفضه حين يظهر.

ومضى الوقت ثقيلاً وهو جالس في مقعده.. وإصراره على المواجهة ثابت لا يتغير. ثم عادت صور حياته مع زوجته الجميلة تتوالى أمام مخيلته فرآها وهي تبدو كالملاك الرقيق في فستان الزفاف.. ورآها وهي تدخل غرفة الولادة وقد ابيض وجهها من الخوف وتتشبث بيده راجية ألا يفارقها خلال الجراحة.. ورآها وهي تغسل له شعره بالشامبو مرة كل أسبوع ولا تنسى ذلك أبدا مهما كانت مشاغلها.. ورآها وهي تنحني على الأرض لتكوي له قميصه ومنديله كل يوم مفضلة هذا الوضع المتعب على استخدام مائدة المكواة.

ورأى نظراتها العاتبة وهي تختلس النظر إليه حين يخذلها بانتظام كل أسبوع معتذراً لها عن عدم مصاحبتها في زيارتها لأمها.. أو للسينما.. أو لحديقة الأطفال رغم وعوده السابقة لها، وتذكر نظراتها الحزينة وهي تكتب خواطرها في دفترها السري، وترمقه بلـوم صامت وهـو يتركها في غرفة المعيشة في

الثامنة مساء ويدخل إلى غرفة النوم ليستغرق في النوم العميق ليلة بعد أخرى رافضا رجاءها له بأن "يبقى معها" بعض الوقت "ليتحدث" معها قليلاً.
تذكر كل ذلك فبدأ إصراره على المواجهة يتراجع شيئاً فشيئاً ورغبته في استعادتها وإنقاذها من هذا الفارس المجهول تتزايد تدريجياً.
ثم أفاق من أفكاره فجأة على سماع صوت المفتاح يدور في باب الشقة.. فأسرع يغلق الدفتر الصغير ويضعه في مكانه بحرص.. ثم غادر مقعده إلى مدخل الشقة.. مستجمعاً إرادته على استعادة زوجته وبدء صفحة جديدة معها والدفاع عنها حتى الرمق الأخير.. واقترب من الباب فصاح الطفل مهللاً لرؤية أبيه.. وأجابه بابتسامة عريضة ثم تجاوز الطفل إلى زوجته فأخذ بجمالها الذي خيل إليه أنه قد ازداد تألقا وبريقاً كأنما يراه ويحس به للمرة الأولى.. واقترب منها مبتسماً وقبلها بحنان في خدها وقال لها بصوت جديد لم تسمعه منه منذ سنوات: البيت لا يطاق دونك.. لماذا غبت كل هذا الوقت؟ فتورد وجه الزوجة وضحكت وقالت له بسعادة ومرح:
_ أردت العودة منذ ساعة.. لكن تامر تشبث بالبقاء مع أصدقائه.
ثم توقفت عن حديثها كأنما تذكرت شيئاً هاماً وقالت له: لكن ماذا قلت عن البيت في غيابي؟ هل هذا صحيح؟ إنك تستحق عشاء فاخراً الليلة مكافأة لك على هذه الكلمات الحلوة التي كدت أنساها.
ثم تركته بحماس وابتهاج واتجهت إلى المطبخ فراقبها في صمت وأمل وقال لنفسه: طيبة وجميلة كعهدها.. فكيف كدت أضيعها من يدي؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

القطة الناعمة

لكل شيء نهاية.. فمتى ينتهي هذا العذاب؟
تردد السؤال الحائر في خاطره وهو يتجه بخطوات ثقيلة إلى باب الشقة شاعراً بالهوان والعجز والإحباط، وعند الباب استدار ليصافح صهره فقال له الرجل مهونا:
_الصبر طيب فلا تفقد صبرك ولا تحزن!
فغمغم مودعا الرجل بكلمات مبهمة وصافحه وانصرف!
صهره رجل طيب وهو زميل سابق له في نفس العمل لكنه للأسف ضعيف أمام زوجته وحنون إلى حد زائد مع ابنته.. ولطيبته واستقامته في العمل والحياة رغب في مصاهرته.. وترصد ابنته حين كانت تأتي لزيارته في العمل من حين إلى آخر.. وافتعل المناسبات للحديث معها وتطوع لإعطائها دروسا في الإحصاء خلال دراستها بكلية التجارة.. وخطب ودها حتى هيئ إليه أنها ترحب به.. فانفجر ينبوع الحب الصامت في قلبه وفاتحها برغبته فيها وتعاهدا على الارتباط.. هل أحبته كما أحبها؟ لا يستطيع أن يجزم بذلك "الآن" أما وقتها فقد خيل إليه أنها تبادله حباً بحب.. فهي جميلة.. وتلقائية تعبر بطفولية عما تحس به ولا تتعمد إخفاء مشاعرها.. حتى ما بدا له من سذاجتها والتصاقها المعيب بأمها الذي أثار شك والدته في أن تكون قادرة على تحمل مسؤولية الزواج، عدّه وقتها من مميزاتها فهي قليلة الخبرة بالحياة ومن الطبيعي أن تستمد خبرتها وحكمتها من أمها.
لكن الأيام قد أثبتت له صدق فراسة أمه وبعد نظرها فقد أرهقته خلال فترة الخطبة بالمطالب.. ولم تبد أي استعداد للتنازل أو التضحية بشيء.. ومن ورائها وقفت أمها تؤيدها وتشجعها على ألا تتنازل عن شيء.. حتى لا تندم على "التفريط" في المستقبل! فحتى الشقة التي أعدها للزواج، واعتبرها أهم مؤهلاته، اعترضت عليها لسبب لا يخطر على بال أحد غيرها، وهو أنها بعيدة بعض الشيء عن مسكن أسرتها! ووقف الأب عاجزاً عن إقناعها أما أمها فلقد كانت بالطبع صاحبة الفكرة.. وبدلاً من أن يتزوجا على الفور أضاع شهورا ثمينة في البحث عن مشتر لشقته التي مازال يدفع أقساطها.. وأضاع أياماً طويلة في التجول في الشوارع المحيطة بمسكن أسرتها والجري وراء السماسرة حتى استطاع بمعجزة أن يحصل على شقة أكثر قربا.. وتنفس الصعداء حين لاقت قبولها وإن كان قد آلمه أنه لم يفز بكلمة إعجاب أو شكر ولم يتجاوز رضاؤها عن الشقة أن قالت له إنها "لا بأس بها".
إرضاء من لا يرضى بسهولة مهمة شاقة.. فكيف إذا كنت تحبه وتسعد برضائه الشحيح ولأن الحب لا يسمع إلا لصوت القلب فقد تغاضى عن انتقادات أمه لها واتهامها له بالضعف.. وإنذارها له بأنه سيكون خاتما في أصبع فتاته المدللة.. وكيف لغريق الحب أن يأمل في النجاة نجاة.

نعم مدللة.. وهشة.. وعاطفية وفكرتها عن الحياة ليست جادة. لكن الزواج شيء آخر وسوف تكتسب خبرة الحياة وتتعلم العطاء مع الأمومة.. وستعزف أنغام السعادة لحنها الأبدي في حياته.

وتزوجا.. وتكشفت له بعد الزواج عن قطة جميلة ناعمة الشعر دافئة الملمس تريد أن تقضي معظم أوقاتها بلا عمل سوى التمسح فيمن يحبها! وتمضي معظم يومها في الفراش.. وتنتظر عودته بصبر نافد، فما إن يجيء حتى يجدها مرتدية ملابسها استعدادا للخروج إلى بيت أمها لتناول الغداء مع أبويها.. أو إلى النادي أو إلى بيت أسرته استجابة لدعوة غداء ولا شيء في مخيلتها.. سوى الرغبة في التسلية والنزهة.. وكلام الحب!

لم تخف عنه عيوبها لكنه أمل أن تتغير الأحوال بالمعاشرة ومع ظروف الحياة، فمضت الأيام دون أن تتغير وحين حملت أشعرته بأنه ينبغي أن يتحمل معها عناء الحمل.. لأنه المسؤول الأول عن "الجريمة".. وأرهقته بالبكاء لأي عارض طفيف.. وبانحراف المزاج لأي تغير.. وبالحساسية المفرطة تجاهه وتجاه كل شيء بدعوى "الظروف الخاصة" التي تمر بها، ومن ورائها أمها تساندها وتزمجر في وجهه إذا بدت منه لمحة شكوى، وكأنما قد رجع إلى حياة الأعزب من جديد.. فقد أمضت معظم شهور الحمل في بيت أمها لتحظى برعايتها الخاصة وتوقف دوره عند توفير نفقات الأطباء والملابس الواسعة.. والذهاب إليها كل مساء في بيت أمها ليصحبها للمشي حوله.

واقترب موعد الولادة.. فأعلنت الأحكام العرفية في حياته وفى بيت أسرتها.. وجاء "وليد" فطار به فرحا. وبعد شهرين من الولادة عادت إلى مسكنه الخالي للمرة الأولى، فأشعل شموع الحب والفرح بعودتها.. وأضيف إلى أعبائه عبء الطفل الجديد وأمراضه.. ومسؤوليته عن توفير كل متطلباته.. وتراوحت أيامه بين اصطحابها مع الطفل للطبيب.. واصطحابها إلى بيت أسرتها لتمضي فيه بضعة أيام تستريح فيه من "عناء" رعاية الطفل وحدها بلا عون من أحد!

ولم يشك رغم ذلك من شيء وحرص على تكتم الكثير من معاناته مع القطة الناعمة عن أمه وأسرته.. ولم يرد أن يكدر على نفسه لحظات سعادته القليلة مع قطته المحبوبة حين تصفو السماء.. وتنقشع سحب العناء.

ويوماً عاد إلى بيته مبتهجاً وأبلغها بالخبر الذي ترقبه طويلاً، فأسر إليها أن دوره في الترقية إلى منصب مدير أعمال قد جاء، وأنه سينقل إلى موقع العمل على بعد ساعتين ونصف الساعة فقط من القاهرة.. وسيكون لها حق الإقامة في مسكن العائلات الواسع بالموقع.. والتمتع بامتيازاته.. والحق في إجازة لمدة 4 أيام كل 12 يوما، فخبت فرحته سريعاً حين تبين له أنها رغم ابتهاجها بالخبر لا تفكر في مصاحبته إلى موقع العمل.. وترى أن واجبه يملي عليه السفر وحيدا ليوفر لأسرته مستقبلاً أفضل ولكن دون مشاركة منها! فهي كما يرى "ضعيفة الصحة" ولا تحتمل البقاء وحيدة بعيدة عن أمها في

موقع عمل مهجور في الخلاء.. وليس من "الشهامة" أن يتوقع منها هذه التضحية لتضاف إلى ما تقدمه لطفلها وله من واجبات عائلية "شاقة"!
وأحس في صوتها باحتجاج القطة الناعمة حين ينتزعها أحد من مرقدها الدافئ! ورغم يأسه من النتيجة فقد بذل أكثر من محاولة معها قوبلت بالرفض.. والغضب.. والاحتجاج.. واتهامه بأنه لا يحبها ولا يريد أن يضحي ببعض راحته من أجلها!
واستعان عليها بأبويها فجاءت النتيجة كما توقعها ولامته الأم على تفكيره "الأناني" تجاه ابنتها.. ووقف الأب عاجزاً عن أي عون!
وفكر في التنازل عن الترقية ورفض السفر إلى الموقع؛ فإذا بقطته الحبيبة تنفجر بالبكاء بعد أن "تأكد" لها أنه لا يحبها ويفضل راحته على مصلحة زوجته وطفله ومصلحة الأسرة. ولـم يـجد مفرا من الامتثال والسفر وحيدا إلى موقع العمل. وتشابهت أيامه فيـه يوما بعد يوم، فهو يمضي النهار كله في الموقع، ويعود إلى المسكن الخالي في الأصيل فيعد لنفسه طعام العشاء.. ويشاهد التليفزيون ويترقب مكالمة زوجته من حين لآخر، ويسعد رغم احتجاجاته عليها بصوتها الدافئ حين يجيئه هامسًا: ـ هشام.. مساء الخير يا حبيبي.. بتعمل إيه دلوقت؟
ليلة بعد ليلة يترقب هذا الصوت الهامس ويسعد به رغم غضبه المكتوم من صاحبته.. ويرطب به جفاف وحدته ويثور لديه في كل مرة نفس التساؤل الحائر: هل حقا تحبني؟ نعم تحبني.. فكيف ترضى بالبعد عني.
وكـل أسبوعين يعود إلى عشه الصغير فيقضي مع زوجته إجـازة قصيرة سعيدة تنسيه كل العناء.. وفي ختامها يسألها نفس السؤال بلهجة الاستجداء الذليل:
_ ألن تأتي معي لنعيش معا طوال الوقت كما تعاهدنا قبل الزواج.. فتمسح بيدها على شعره.. وتداعبه وترفض العودة معه، ثلاثون شهراً.. شهراً بعد شهر وهو يعيش وحيدا معظم أيامه لأن زوجته لا تريد أن تتحمل عناء الحياة في موقع عمل لا يعد بالكثير من التسلية مع أن كل زملائه المتزوجين تصحبهم زوجاتهم في الموقع.
وفي لحظة ضيق بوحدته في المساء مع تأخر اتصال زوجته به لعدة أيام.. تساءل ماذا يحول بينها وبين المجيء إليه والإقامة معه.. هل هي رغبتها حقاً في البقاء بجوار أمها.. وإشفاقها على نفسها من الحياة في موقع عمل، أم ترى أنه قد "ظهر" في حياتها ما يشدها إلى المدينة ويشغلها عنه؟
وواجه السؤال مرتعباً للمرة الأولى: هل يمكن أن تكون خائنة حقا؟ وإذا كانت كذلك كيف تجري على لسانها كلمات الحب التي تسقيها له بهذه السهولة، وإذا كان اللسان قادرا على الكذب.. فهل تكذب العيـون والشفاه أيضا؟ هز رأسه بعنف نافضا الفكرة من رأسه وهو يطمئن نفسه قائلاً: لا ليست خائنة.. لكنها مدللة وأنانية وغير قادرة على العطاء لأحد.. وهي في ذلك صورة

مصغرة من أمها التي اعتادت الأخـذ من زوجها بـلا عطاء.. ولكن بلا خيانة أيضا!
استراح إلى هذا التفسير وتعلق به.. وحين عاد إلى المدينة في إجازته راح يرقب زوجته باهتمام خفي، كأنما يحاول أن يستكشف في ملامحها ما ينفي له خواطره هذه أو يؤكدها.. ثم ألحت عليه هواجسه فصارحها برغبته النهائية في أن تصحبه إلى مقر عمله.. وإلا فإنه سيفسر رفضها هذه المرة بالتفسير الوحيد له.. وهو وجود غيره في حياتها، فانفجرت الأزمة التي أربكت حياته خلال الفترة الأخيرة وبكت وانتحبت واتهمته بأنه لا يستحق إخلاصها.. وجمعت ملابسها وحملت طفلها وعادت إلى بيت أمها وطلبت الطلاق منه!
وقدر أنه لو عاد إلى مقر عمله بغير حل لمشكلته.. فلن يستطيع السيطرة عليها فيما بعد، وأبرق إلى عمله طالبا إجازة لمدة أسبوعين.. وذهب إليها في بيت أسرتها وحاول استرضاءها طويلاً بلا جدوى، وتحمل صواعق أمها بصبر يحسده عليه كثيرون.
وثابر على الذهاب إليها يوما بعد يوم معتذرا لها عن ظنونه.. وشارحا لها ظروفه النفسية الصعبة.. ومذكرا إياها بالحب العظيم الذي يحمله لها، وفي نهاية الحديث يطلب منها العودة إلى بيتها فترفض وتطلب إعطاءها مهلة جديدة للتفكير! وأقصى ما كانت تبديه له من عطف حين يجهده الكلام معها أن تطلب منه عدم الانصراف قبل أن يتناول طعام العشاء.. وتعده له وترفض مشاركته فيه!
وفي ليلته الأخيرة بالمدينة بعد انتهاء إجازته ذهب إليها وأمضى اليوم كله معها ومع طفله.. وناشدها العودة إلى بيتها والمواظبة على الاتصال التليفوني به ليطمئن إلى أنها قد صفحت ونسيت.. فلم تعده بشيء وتمنت له سلامة السفر.
فغادر مسكنها مقهورا ووالدها يودعه حتى الباب ويطلب منه الصبر!
نعم الصبر طيب كما قال الأب العاجز ولكن إلى متى يكون الصبر على القلب الذي لا يغيث ملهوفاً عليه.
وفى الصباح غادر مسكنه مكتئبا وركب سيارة أجرة إلى موقف أتوبيس الشركة الذي ينقل العاملين به بعد انتهاء الإجازات، وصعد إليه وسار في الممر حتى الصفوف الخلفية، وجلس في مقعد خال بجوار النافذة. وتوافد الزملاء واحدا بعد الآخر مع زوجاتهم وأطفالهم. وقبل أن يهم الأتوبيس بالتحرك صعدت إليه فتاة.. مريحة الوجه ترتدي بلوزة فضفاضة وبنطلونا واسعا وتحمل حقيبة جلدية سوداء، فحيت الجالسين ثم سارت في الممر تبحث لنفسها عن مقعد خال حتى وجدته إلى جواره فوضعت الحقيبة فوق الحامل وحيته تحية الصباح وجلست وبغير أن يسألها وجدها تقدم له نفسها..
_ المهندسة وفاء العجرمي.. موظفة جديدة في الموقع!

فارتبك للحظات ومدّ إليها يده مرحبا: المهندس هشام عبد الرافع مدير أعمال بالموقع، ثم انصرف إلى متابعة الطريق من النافذة وتحرك الأتوبيس، فأحس بأنها تراقبه وتترقب الفرصة للحديث إليه، فالتفت إليها فلم تتردد في سؤاله عن ظروف العمل في الموقع وطبيعة الحياة فيه.. إلخ. وأجابها عن كل ما سألت بصدق وأبدى لها استعداده لمساعدتها على مواجهة مشاكل التأقلم مع موقع العمل الجديد، فإذا بها تقول له بصراحة أثارت إعجابه: سأحتاج إلى مساعدتك بكل تأكيد فأرجو ألا تحرمني منها! وأكد لها ذلك ثم عاد لمراقبة الطريق والاستسلام لأفكاره وخواطره.. فإذا بهذا الخاطر الغريب يقفز إلى رأسه فجأة فيتعجب كيف ذهل عنه من قبل، وفى شيء من الحرج التفت إليها فوجدها مرحبة بالحديث إليه فسألها:

_ هل ستقيمين في الموقع وحدك؟

فأجابته ببساطة: ولم لا.. سأقيم في مسكن العائلات وسأعود إلى أسرتي كل أسبوعين!

فبلغ به الاهتمام قمته.. وألح عليه السؤال المحرج فلم يستطع مقاومته وسألها: عفوا لهذا السؤال الشخصي:

_ هل أنت متزوجة؟

فأجابته ببساطة زادته ذهولاً: ولا مخطوبة.. ولكن جاءتني فرصة هذا العمل بعد أن قضيت عامين بلا عمل عقب التخرج وكان شرط الوظيفة العمل في الموقع بعد فترة الاختبار، فلم أتردد في القبول وواجهت معارضة أسرتي طويلاً وأقنعت أبي وأمي أن الحياة كفاح.. وأني أستطيع المحافظة على نفسي في أي مكان.. فسلما برغبتي في النهاية!

فابتسم وهو يقول لها:

_ الحياة كفاح حقا وصدقا.. لكنك تستحقين أيضا كل الإعجاب!

وأحنت رأسها باسمة وشاكرة.. فأدار ناظريه إلى الطريق الموحش.. وغرق في الصمت.. والاكتئاب.. وصوت صامت في أعماقه يتمتم: الحياة كفاح فعلاً.. والحب أيضا.. فما باله قد فقد كل معنى أصيل له عند تلك "القطة الأنانية".. المدللة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

يحدث ذلك أحياناً

هو إنسان ناجح في عمله.. وسعيد في حياته الخاصة.. زوجته جميلة ومخلصة وتتفانى في رعايته وإسعاده، وطفلته الصغيرة تضفي على حياتهما مزيدا من البهجة والسرور.. حتى متاعبها... متاعب لذيذة تشحن حياتهما بالإثارة والاهتمامات الطريفة.

وعن وعي واختيار رأت زوجته أن تستقيل من عملها وتتفرغ لأسرتها فطفلتها تحتاج إلى رعايتها، وزوجها في حاجة إلى مساندتها لـه لكـي يـزداد نجاحًا وتألقا.

فهو مدير لفرع أحد البنوك في مدينتهما.. وواجبات عمله تفرض عليه أن يوثق علاقاته الاجتماعية مع كبار العملاء ورجال الأعمال ودعوتهم من حين إلى آخر إلى العشاء في بيته، وتلبية دعواتهم في المناسبات المختلفة.

وقد اختارت طموح زوجها وتقدمه، واستقالت من عملها في بنك آخر تتقاضى منه مرتبا كبيرا لتساند زوجها في نجاحه وعمله.

ويوم اتخذت قرارها قال لها زوجها مشفقاً:

_ إنك تحملينني مسؤولية كبيرة بتضحيتك بعملك ومستقبلك ومرتبك الكبير من أجلي.

فربتت على خده بحنان وقالت له: لا أحملك أية مسؤوليـة..

-وإنما أتحمل أنا مسؤوليتي عن هذه الأسرة بإرادتي واختياري.. فأحنى رأسه عرفانا وشكرا وازدادت روابطهما عمقاً وتشابكاً. وفي دعوات العشاء تألقت زوجته إلى جواره بجمالها الباهر وظرف حديثها ولباقتها الآسرة للقلوب.

وفي الدعوات المنزلية.. أدت دور ربة البيت المضيفة على أكمل وجه حتى قال له الرئيس الأعلى للبنك الذي يزور المدينة من حين إلى آخر لتفقد - العمل في الفرع:

_ الاستقرار العائلي من أهم أسباب النجاح.. فاشكر زوجتك التي ساعدتك على هذا التقدم.

فاعترف له بأنه مدين بنصف نجاحه لإخلاص زوجته ومساعدتها له، وروى القصة لزوجته منتشيا ومعترفا بفضلها عليه.. واقترب الصيف.. ورتب الزوجان كعادتهما كل سنة أن يقضيا الإجازة في نفس القرية السياحية على ساحل البحر. وحجز الزوج نفس الشاليه الذي يقيمان فيه كل صيف.. ورتب موعد إجازته مع اليوم الأخير لانتهاء الدراسة في مدرسة طفلتهما الوحيدة.. ونشطت زوجته في إعداد الحقائب ومستلزمات الرحلة، وقضى الزوج يومه الأخير في العمل متعجلاً نهايته ليلحق بزوجته ويبـدأ الرحلة الممتعة بالسيارة، لكن جرس التليفون يدق فجأة ويجيئه صـوت رئيس البنك يبلغه أنـه قادم إلى المدينة في بقطار العاشرة مساء لعقد اجتماع مع عدد من كبار المستثمرين بالمدينة بشأن مشروع كبير.

ويعود إلى بيته فيجد زوجته قد أعدت كل شيء.. وصفّت الحقائب وراء الباب وارتدت قميصا واسعا وبنطلون الجينز استعدادا للسفر.. ويحكي لزوجته ما حدث مشفقاً عليها من الإحباط.. لكنها تطيب خاطره.. وتقول له: لا بأس بالانتظار بضعة أيـام أخـرى. فيستغرق في التفكير لعـدة دقائق ثم يقول لها فجأة: لا.. لن نؤجل السفر.. وسنسافر الآن فورا.. وأطمئن على استقراركما في الشاليه.. ثم أعود بالسيارة لأكون في استقبال المدير في المحطة وألحق بكما بعد أيام.

وتعارض زوجته الفكرة بشدة وتذكره بضرورة أن يدعو رئيسه للعشاء في بيته كالعادة خلال إقامته بالمدينة لكنه يصر على رأيه.. ويطمئنها إلى أنه سيتلافى الحرج بإبلاغ رئيسه بسفر أسرته إلى المصيف.. وربما راعى ظروفه وسمح له باللحاق بأسرته عقب نهاية الاجتماع مباشرة. وحسم تردد زوجته بأن حمل الحقائب إلى السيارة.. ودعا زوجته وطفلته للركوب، وانطلقت السيارة في رحلتها ووصل إلى القرية السياحية مع الغروب، ونقل مع زوجته الحقائب إلى الشاليه ثم قبّل طفلته وزوجته مودعا وانطلق عائدا إلى المدينة.

وقبل العاشرة مساء بدقائق كان يقف على رصيف القطار في انتظار رئيسه.

وفي اليوم التالي انعقد الاجتماع الهام في غرفة الاجتماعات بفرع البنك واستغرق العمل ساعات مرهقة.. وفي المساء دعا رئيس البنك المستثمرين وزوجاتهم إلى حفل عشاء بالفندق الذي يقيم به.. ووقف مدير الفرع إلى جانب رئيسه يرحب بالضيوف.. ففاجأته إحدى المدعوات وهي سيدة متوسطة العمر مثيرة الجمال تشارك شقيقها في التجارة بالسؤال.

_ أين زوجتك الجميلة التي سمعت عنها؟ فأجابها بأن أسرته في المصيف وأنه فضل ألا يحرمها من الإجازة بسبب ظروف عمله... فقالت له مبتسمة: لابد أنك تحبها كثيرا وتحرص على راحتها!.

وانقضت ساعات الحفل بطيئة.. ولاحظ هو أن السيدة المثيرة تخصه باهتمامها معظم الوقت وتفتعل المناسبات للحديث معه. وفي نهاية الحفل قالت له إنها تحتاج مشورته في مشروع جديد ترغب في إقامته منفردة ودعته للغداء معها في اليوم التالي.. فاعتذر عن القبول باضطراره لمصاحبة رئيس البنك وقت الظهيرة، ففاجأته بالاتجاه إلى رئيسه الواقف بين ضيوفه وبعد لحظات عادت إليه معه، ليبلغه رئيسه بأنه يعفيه من ملازمته له فترة الظهيرة لكي يستطيع تلبية دعوة السيدة والحديث معها في مشروعها الجديد مؤكدا له أن مصلحة العمل أهم من كل شيء فأسقط في يده.. ولم يستطع الاعتذار..

وفي اليوم التالي توجه إلى مسكنها في موعد الغداء فاستقبلته في كامل زينتها الصارخة ولاحظ قصر فستانها المثير الذي يكشف عن معظم ساقيها.. ورحبت به بحرارة.. وقالت له إنها سمعت من شقيقها عن جديته في العمل وخبرته، فقررت أن تستعين بمشورته في مشروعها وتحدثا بعض الوقت

عنه.. وقاطعت حديث العمل أكثر من مرة بسؤاله عن زوجته.. هل تحبها؟ هل تحبك؟ ما شكلها؟ هل أنت مخلص لها؟ وأجابها عن أسئلتها محرجا.
وانتهت الجلسة على وعد منه بأن يقدم لها دراسة كاملة عن مشروعها في أقرب وقت.. واستأذن في الانصراف فقالت له بإغراء غامض:
_ سنلتقي في المساء في حفل شقيقي لرئيسك.. وسيكون لنا حديث آخر طويل!.
وانصرف مشغول الخاطر بهذه السيدة الغامضة، ماذا تريد منه؟ ولماذا تسأله أسئلة شخصية محرجة في مقام العمل؟.. إنها سيدة مطلقة ووحيدة ومثيرة للغاية ولابد أن كثيرين يتمنون زواجها.. وهو رجل متزوج وأب فماذا تريد منه؟
وفي المساء توجه مع رئيسه إلى بيت الشقيق فوجد مجموعة المستثمرين وزوجاتهم ووجدها بينهم واستقبلته بترحيب خاص كأنه صديق قديم، ونهض الجميع إلى البوفيه يلتقطون في أطباقهم أنواع الطعام المختلفة، ففوجئ بها تسحبه من يده لتضع له في طبقه ما يختاره من طعام، ثم جذبته إلى مائدة خالية قائلة له إنها تريد الانفراد به للحديث في العمل وتحدثت إليه في كل شيء إلا العمل واستدرجته للحديث عن نفسه وأسرته.. وحكت له عن حياتها الشخصية وزواجها مرتين لم توفق فيها وكثرة الطامعين في مالها وجمالها.. وضحكت كثيرا وأضحكته أكثر بحكاياتها عمن يطاردونها للإيقاع بها ومنهم معظم الحاضرين في هذا الحفل رغم زواجهم وإنجابهم!
وانتهى الحفل وغادره وهي تهمس له بأنها ستتصل به في اليوم التالي!.
وعاد إلى بيته في منتصف الليل مجهدا، فاتصل بزوجته وطفلته ووجد نفسه يقول لزوجته بغير مناسبة إنه يحبها ويفتقدها بشدة.. ويندم على السماح لها بالسفر دونه!.
وسعدت زوجته كثيرا بما قال وسألته: هل تريد أن نعود غدا؟ فرفض ذلك بشدة مؤكدا أن سيلحق بها في أقرب وقت.
وطالت زيارة رئيس البنك للمدينة بضعة أيام أخرى.. وتكررت الاجتماعات والدعوات وتكرر لقاؤه بالسيدة المثيرة.. وطالت أوقات الحديث معها.
وعاد إلى بيته ذات مساء.. فرن التليفون وجاءه صوتها يسأل: مـاذا تفعل الآن؟
ولـم يدر بماذا يجيبها.. فسألته لماذا لا يأتي إليها الآن لكي تتحدث إليه في أمر هام؟
وحاول الاعتذار بتأخر الوقت واضطراره للصحو مبكرا ليلتقي برئيسه فسدت عليه المنافذ بقولها له إن رئيسه سيمضي فترة الصباح حتى الظهيرة في مزرعة أحد العملاء خارج المدينة، وأنه لن يرافقه كما علمت بذلك من شقيقها.. وألحت عليه بالحضور للعشاء معها برقة وعذوبة وإغراء فتراخت مقاومته قليلاً ووعدها بالذهاب.

وتوجه إلى مسكنها ففوجئ بها تستقبله في روب مثير معتذرة عن ذلك بأنها تعتبره صديقا مقربا ولا داعي للتكلف معه!

واشتد ارتخاء مقاومته للإغراء.. وتناول معها العشاء فأشعلت الجلسة بضحكاتها وحكاياتها الطريفة وازداد انفعالها بالحديث، فانفتح الروب أكثر من مرة بحركة بدت كما لو كانت لا إرادية وظهرت من فتحته معالـم جسمها البض المليء صارخة النداء! فوجد عينيه تلتهمان المائدة الشهية رغما عنه ولم يستطع المقاومة أكثر من ذلك.. فلبى النداء مستسلمـا.

وفي اليوم التالي كان صوتها أول ما سمعه في تليفون مكتبه تؤكد عليه أن يفعل المستحيل ليتخلص من ارتباطه برئيسه ويأتي للعشاء معها الليلة.

وتكررت الدعوة.. وتكرر النداء الذي لا يقاوم طوال الأيام التالية وفاجأه صوت زوجته في المكتب تسأله بلهفة لماذا لم يتصل بها منذ يومين؟ فأحس بخزي شديد كأنما يقف أمامها عاريا دون أسرار، واعتذر لها كاذبا بانشغاله الشديد بلقاءات رئيسه واجتماعاته.

وتمنى من أعاقه أن يرحل رئيسه عن المدينة ليلحق بزوجته وطفلته ويتخلص من تمزقه الشديد بين حبه لزوجته وضعفه المهين أمام نداء هذا السيدة الخطيرة.

وتنفس الصعداء أخيرا حين قرر رئيس البنك الرحيل.. فودعه على رصيف القطار وعاد إلى البيت مباشرة فأعد حقيبته وهم بالانصراف فرن جرس التليفون حاملاً صوت السيدة الخطيرة طالبا منه الحضور. وجاهد نفسه بصعوبة ليبلغها بعزمه على الرحيل الآن. وقاوم بأقصى طاقته إلحاحها عليه بتأجيل السفر إلى الصباح، وتحمل صراخها وانفعالها الصاخب بل وتهديدها له بأنه "يحلم" إذا كان يتصور أنها "قصة عابرة" يستطيع التخلص من أثرها بسهولة ليعود بسلام إلى زوجته وكأن شيئا لم يكن. لا إنها ليست امرأة رخيصة.. ولابد من استكمال القصة والتعامل معها باحترام.. وإلا فسوف يندم كثيرا... و... و... ووضع السماعة وصوت صراخها مازال يعلو منها وقاد سيارته مشغول الخاطر بما سمع ومهموما به.. وتعجب من نفسه خلال الطريق كيف ضعف أمامها وكيف استجاب للنداء وهو الذي يحب زوجته ويخلص لها منذ عرفها وارتبط بها.. ولعن نفسه أكثر من مرة.. ولعن رئيسه واللحظة التي دفع فيها زوجته وطفلته للسفر دونه، وتوجس شرا مما سوف تحمله له الأيام القادمة من متاعب وعواصف قد تهدد أسرته السعيدة، ووقفت السيارة أخيرا أمام باب الشاليه فهرعت إليه طفلته وزوجته وقبلهما بلهفة، وراح يجيب عن أسئلة زوجته وطفلته عن حياته خلال الأيام التي قضاها بعيدا عنهما.. وبحركة لا إرادية وجد نفسه يرفع يد زوجته من حين إلى آخر إلى فمه فيقبلها بإحساس طاغ بالذنب فيزداد اتساع ابتسامتها ويتعمق شعورها بالأمان!

وجلس في شرفة الشاليه ينظر إلى البحر اللانهائي وبجانبه زوجته وطفلته، ولاحظت زوجته شروده وسألته زوجته عما يشغله ففسر لها حالته بإجهاد

السفر وعمل الأيام الماضية.. فنهضت إلى داخل الشاليه قائلة له إنها ستصنع له فنجانا من القهوة ليستعيد حيويته ونشاطه، وتبعتها طفلته إلى الداخل.. فاستسلم لخواطره منفردا يفكر فيما يمكن أن تفعله تلك السيدة الشرسة حين يقطع علاقته بها بصرامة..

ويصارحها بأن ما حدث بينهما كان خطأ فظيعا من البداية وضعفا عابرا قد يتعرض له أي إنسان في لحظة لكنه لا يمكن أن يستمر أو ينال من حبه لزوجته وأسرته وتمسكه بهما.

وثقلت عليه مخاوفه وهواجسه.. فقال لنفسه كأنما يطرد عنه الخوف.

وحتى لو حاربتني في عملي.. فسوف أصمد لحربها حتى النهاية هذه السقطة ولو اقتضى الأمر أن أطلب نقلي إلى فرع آخر ومدينة أخرى.

ثم اشتدت عليه مخاوفه فقال لنفسه مستهينا بالنذر: وحتى لو وصل الأمر إلى إبلاغها لزوجتي بما حدث.. فسوف أبكي بين يديها ندما واعتذارا وسوف أقبل يدها راجيا أن تصفح عن هذه السقطة المؤلمة وسيصمد حبنا للعاصفة رغم كل شيء، نعم سيصمد وسينتصر وسوف تصفح بعد حين رغم آلامها.. فعلاقتي بها ليست عبئا إنه حب عميق الجذور وستصمد شجرته العريقة للرياح العابرة.

واطمأن قليلاً إلى ما انتهت إليه أفكاره.. ففوجئ بذراعي زوجته تلتفان حول رقبته من الخلف وذقنها تستند إلى قمة رأسه.. ثم سمعها تقول له بدلال:

ماذا فعلت من غيري في الأيام الماضية؟

فزفر زفرة ثقيلة وقال لها بغموض: كانت أياما فظيعة.. أرجو ألا تتكرر في حياتنا.. مرة أخرى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

المتعة..والعذاب!

استأذن في الدخول إليه، فأمسك ببطاقته التي حملها له سكرتيره وقرأ الاسم فلم يجد له أي صدى في نفسه. وسأل سكرتيره عما يريده منه فأجابه بأنه يؤكد أنه صديق قديم. أعاد النظر إلى الاسم المطبوع بحروف سوداء بارزة محاولاً أن يتذكر صاحبه.. فلم تسعفه الذاكرة بأي جديد، فكر للحظات في أن يعتذر عن عدم مقابلته لإرهاقه بالزيارات والعمل ذلك اليوم، لكن إحساسًا غامضاً دفعه في اللحظة الأخيرة لأن يستقبله فأشار بيده موافقاً. خرج السكرتير ثم فتح الباب ودخل رجل متوسط العمر، أبيض البشرة، يرتدي نظارة طبية مربعة، تقدم إليه بابتسامة خجول ماداً يده، فنهض الآخر ليصافحه بمشاعر حيادية.. فما إن اقترب منه حتى لمعت عيناه فجأة بالتذكر فاقترب محيياً بحماس شديد: أوه.. سميح يا لها من مفاجأة!

وسعد الآخر بتذكره وتعانقا بحرارة ثم جلسا وهما يتبادلان التحية في انفعال ودخل الساعي بمشروب الضيافة فتشاغلا للحظات بتناوله.. وبحديث المجاملة التقليدية ثم أمسك المضيف ببطاقة الضيف، وأعاد قراءة بياناتها بصوت مسموع بطيء كأنما يستعيد معه ذكريات عشرين عاما مضت، ويطلب تفسيراً لما تحمله من "أخبار" جديدة عليه. دكتور محمد سميح القاضي أستاذ مساعد بكلية التربية بجامعة المنصورة! ثم رفع عينيه متسائلاً: كم سنة مضت على آخر لقاء؟.

فأجاب الآخر مبتسماً: واحد وعشرون عاماً على وجه التحديد جرت فيها أحداث كثيرة لكنك لم تغب عن خاطري خلالها.. بل كنت سوطاً يلهب ظهري في الخيال طوالها ليدفعني للأمام، وكثيراً ما فكرت في زيارتك.. ثم تراجعت في اللحظة الأخيرة، إلى أن وجدت نفسي في القاهرة مدعواً لمؤتمر علمي، فتغلبت على ترددي وجئت لزيارتك!

وغرقا في الذكريات بعض الوقت. لم يكن يعرفه سوى باسم "سميح" فلم يعرف أبدا اسمه بالكامل. وكان شابا مكافحا يدرس في الجامعة في الصباح ويعمل "جرسونا" في كازينو الأحلام في المساء حيث تعرف به وحثه طويلاً على استكمال تعليمه. ولكنه اختفى فجأة.. وانقطع هو عن الذهاب للكازينو فلم يعرف شيئا عنه حتى فوجىء بدخوله عليه في مكتبه بعد هذا العمر الطويل. وتساءلت عيناه عن بقية القصة، فروى له أنه اضطر لظروف عائلية للانتقال إلى الإسكندرية والالتحاق بجامعتها.. وواصل عمله المسائي في كازينو ماثل إلى أن تخرج متفوقا بعد عناء شديد وأدى الخدمة العسكرية، لكنه لم يعين معيداً في كليته كما كان يأمل! فواصل العمل المسائي وحصل على الماجستير ثم وجد فرصته أخيرا في جامعة المنصورة فانتقل إليها وحصل على الدكتوراه وتزوج وأنجب وألف كتبا جامعية!

واختتم قصته قائلاً: وفي كل مرحلة جديدة من حياتي كنت أتذكرك وأنت تقول لي بحماس: لا تكتف بحياة جرسون في كازينو.. لابد أن تصنع لنفسك نجاحا يفتح أمامك الأبواب، فأستعيد نشاطي!

وتبادلا البطاقات وأرقام التليفون.. ودعاه بإلحاح ليتناول العشاء معه في بيته فاعتذر بإصرار لأنه مرتبط بموعد في فندقه القريب وسيعود لمدينته في الصباح، وفارقه مودعا بحرارة على وعد بتكرار اللقاء والاتصال، وعاد الآخر إلى مكتبه منفعلاً بالذكريات التي أثارها ظهور جرسون كازينو الأحلام القديم فطلب سيارته، وحمل حقيبته وغادر المكتب.. في ركن السيارة الخلفي جلس وأشار للسائق بالعودة إلى البيت، ثم أشعل سيجارة وراح يسحب أنفاسها بعمق ويرقب الطريق بذهن غائب. واحد وعشرون عاماً. القاهرة عام 1968. ذروة الشباب وعنفوان القوة. الحب الآسر الغلاب تجنب سميح السؤال عنه استشعاراً للحرج، لكن الصمت أبلغ أحياناً من الكلام. المتعة حتى الجنون.. الحب حتى الموت.. لكن المشاعر صادقة والعذاب أيضا صادق. وأستاذ التربية هذا كان شابا في العشرين من عمره على الأكثر، أما هو فكان مهندسًا في السادسة والعشرين من عمره موعودا بالنجاح والتقدم.. وأما هي فكانت الجنون الممتع.. والحب القاهر الذي لا يخضع لمقاييس ولا يعد إلا بالسعادة الطاغية أو العذاب الأليم.. حين التحق بالشركة كانت مهندسة في الثلاثين من عمرها تتفجر أنوثة وحيوية وتوهجا دائما كالبراكين التي لا تعرف الهدوء.

وعرف من زملائه أنها مطلقة لم تنجب ولن تنجب لعقمها وأنها مطمع الكبار والمديرين. وتزوجت وهي طالبة أستاذها بالكلية وقع في هواها فألقى سلاحه أمامها، لكن عشرتها معه لم تطل سوى ثلاثة أعوام وانتهت بالطلاق بسبب جنون الغيرة.. فهي فتنة للناظرين وبقدر إخلاصها لمن تحب بقدر ما تتفنن في إثارة غيرته ليظل متأججا بالنار على الدوام.. عينت في الشركة قبله بخمسة أعوام، فالتقطتها عين رئيس الشركة الخبيرة وسلط عليها بطاريات إغراءاته. فلم تستجب ولم تعبأ بتهديداته. تمكن حبها من قلبه فسلم بالفشل.. وركع أمامها في مكتبه يبثها حبه بدموع حقيقية؛ فإذا بمن صمدت لكل الضغوط ببسالة تنهار أمام الدموع وترفعه عن الأرض بيديها ثم تذوب في حضنه. من النقيض إلى النقيض تنتقل دائما.. لكنها صادقة في الرفض وصادقة في القبول. بانطلاق القطة البرية عاشت تنشب أظافرها أحيانا فتدمي.. وتتمسح بشعرها الناعم أحيانا فتمنح ملمس النعومة والثراء، أعجبها أن ينهار أمامها الرجل الخطير ففتحت له قلبها المغلق وأحبته.. نعم أحبته.. وأعلنت ذلك بصراحة للجميع. وحاول الآخر أن يتخفى بعلاقته بها لكنها لم تأبه لشيء.. كانت تتصل به من مكتبها أمام زملائها وتبثه حديث الغرام، وتغادر العمل لتلتقي به فلا تتردد إذا سألها زميل عن وجهتها أن تجيبه أنها ذاهبة الآن للقاء حبيبها "فلان".

شاعت القصة في الشركة والوزارة التي تتبعها وساء موقف الرئيس. فاستدعاه وكيل الوزارة وطالبه بوضع حد لهذه الفضائح. تسرب الخبر بسرعة البرق إلى زوجته، فتحول هدوء حياته إلى جحيم ولم يستطع الامتناع عنها. وبلغت الأزمة قمتها حين بدأت تضغط عليه ليتزوجها.. أو تقطع علاقتها به.. فتجرع العذاب كؤوسا.. ثم عجز عن الاحتمال فاتفق معها على الزواج عرفيا بشرط أن تكتم السر إلى أن يرتب أوضاع حياته وتزوجها وأعد لها مسكنا في مصر الجديدة، رشفا فيه معا كؤوس الحب. لكن الحياة لم تصف لها تماما. فطبيعتها المتقلبة لا تعرف الاستقرار، وميلها الغريزي لإثارة غيرة من تحب جعلا من الحياة معها مزيجا شيطانيا من المتعة والعذاب ومتعتها دائما لاذعة.. وعذابها ككي النار!.. واصلت ضغطها عليه ليعلن زواجه منها ويتزوجها رسمياً ويطلق زوجته فرفض وتجرع كأس الهجر مترعة.. ثم ضعف وقرر أن يستجيب لمطالبها.. وسعدت باستجابته فذابت فيه حباً.. وفي اليوم المحدد اجتمعت أسرتها في مسكنها وجاء المأذون لكن الزوج لم يظهر له أثر، لاحقته بالاتصالات التليفونية فلم تنجح في الاهتداء إليه. وتحول الفرح الموعود إلى مأتم حزين.. وفي الصباح توجهت إلى الشركة وشرر النار يتطاير من عينيها واقتحمت باب مكتبه فلاحقها السكرتير هامسا لها أن "البك" لم يأت ولن يأتي لأنه نقل للإشراف على مشروعات الشركة بدولة عربية، وسافر بالأمس على أن تلحق به أسرته حين يستقر به الحال هناك. أما الشركة فيديرها الآن نائب رئيسها إلى حين تعيين رئيس آخر.

تهاوت على الأرض بلا مقاومة ولا كبرياء، وشاعت القصة المخجلة في كل أنحاء المكان. وعرف كثيرون أن زوجة الرجل تدخلت في اللحظة الأخيرة ولجأت إلى زوجة الوزير زميلة دراستها القديمة، فاستدعاه منذ يومين ووبخه بعنف وأمره بالسفر فورا إلى الدولة العربية.

وانهارت القطة البرية الجميلة وغابت عن العمل ثم عادت بشخصية حزينة جديدة تكره الرجال، وتعلن للجميع بأنها لن تسلم قلبها لأحد مرة أخرى!

في هذه الظروف بدأ هو عمله في الشركة شابا حديث التخرج قليل الخبرة، فرآها ولاحظ تأثير فتنتها الطاغية على الآخرين.. ولاحظ أيضا أن الجميع لا يعفونها من الاتهام بالجرأة على التقاليد والأعراف في غيابها وإن كانوا يعملون لها ألف حساب في حضورها.. وأدرك بسهولة أن أكثر من يهاجمونها حماسًا هم أكثرهم رغبة في الفوز بها رغم ما يحيط بها من شبهات، لكنها تصمد للجميع فيتهمها البعض بأنها قد نقلت نشاطها العاطفي إلى ميدان بعيد عن دائرة العمل، ويختلقون حولها قصصا لا نهاية لها.

لم يفكر لحظة في الاقتراب منها إحساسًا منه بعجزه عن مناقشة "الكبار" وإحساسًا بتفاهـة شأنه وصغر سنه بالنسبة لها. فأين هو من رئيس الشركة الجديد الذي لم يتردد لحظة واحدة في مغازلتها ثم في اضطهادها حين تأبت عليه؟ وأين هو من رئيس القسم مناقشة المفتون بثرائه ووسامته وسياراته..

والذي لا يخفي إعجابه بها وضعفه معها.. بل وأين هو منها هي نفسها وهي مهندسة في الثلاثين صاحبة خبرة ثمينة في دنيا الرجال، تركب سيارة فاخرة وتقيم وحيدة بعيدة عن أسرتها في سكن فاخر ولها صداقات اجتماعية لامعة في النادي وفى كل مكان.
عرف قدر نفسه جيدا فانكمش يرقبها من بعيد وتجنب حتى تحيتها إذا لقيها عرضا في نادي الشركة الذي يجمع الزملاء وأسرهم، وفى النادي التقى عدة مرات بزميلات وزملاء دفعته الذين دامت صداقتهم بعد التخرج، واستجاب لتودد إحداهن له وبدأ يفكر في توثيق صلته معها أملا في الارتباط بها في المستقبل. وتناول الغداء ذات يوم في نادي الشركة مع خمسة من زملاء الكلية وزميلاتها ثم خرجوا يبحثون عن سيارات أجرة لتنقل كلا منهم إلى وجهته وطال وقوفهم أمام النادي وهم يتضاحكون، فإذا بسيارة زميلته القطة البرية تقف أمامهم وتشير له للاقتراب. فيقترب وتدعوه وزملاءه لتوصيلهم إلى حيث يريدون. مفاجأة أثارت في نفسه الفخر أمام زملائه فشكرها بحرارة ودعاهم للركوب، وتولت هي بحزم ترتيب الجلوس "فأمرت" البنات بالركوب إلى جوارها والشباب بالركوب في المقعد الخلفي، وقادت السيارة وهي تداعب الجميع بخفة ظل عجيبة فتفجرت الضحكات الصاخبة طوال الرحلة، وحين نزل آخر الركاب قالت لزميلها المهندس الشاب:
_أنت يا "ولد" ظريف.. وأصدقاؤك ظرفاء، إذا جئتم للنادي مرة أخرى فادعوني للغداء معكم!
وغادر السيارة ثملا بالسعادة والانتشاء!
وتكرر اللقاء الجماعي بعد ذلك عدة مرات.. وانطلقت الفاتنة على سجيتها، فأسرت قلوب الفتيات والشباب على حد سواء. وأعلنت لهم أنها أحبت الشلة.. لأنها أتاحت لها أن تعيش حياة الزمالة الجامعية التي حرمت منها، لأنها تزوجت وهي طالبة من أستاذها وكان شديد الغيرة عليها من زملائها. فحرمها من الاختلاط بهم.
.. ووجدت نفسها وهي دون العشرين بلا صديقات سوى زوجات زملائه وكلهن فوق الأربعين! واقترح أحد أعضاء الشلة ذات يوم الذهاب في رحلة إلى الحديقة اليابانية بحلوان يـوم العطلة الأسبوعية، فتحمست للفكرة بجنون كأنها طفلة ستخرج للحدائق للمرة الأولى في حياتها. وجاءت في اليوم الموعود ترتدي قميصا واسعا يخنقه حزام فـوق بنطلون يكاد يتفجر من وطأة أنوثتها ومعها سلة السندويتشات وخيمة صغيرة في حقيبة السيارة. وقادت الرحلة بمرح حازم إلى الحديقة وأشرفت على إقامة الخيمة فيها وعاش الجميع يوما ممتعا حتى الغروب. وفي طريق العودة وبعد انصراف باقي الزملاء قالت له إن بعض "الكبار" بالشركة ينتقدون خروجها مع هؤلاء " العيال " الذين تخصهم بصداقتها دونهم، فأفحمتهم بأن هؤلاء "العيال"

أصدقاؤها وتجد في صحبتهم من صـدق المشاعر ما لا تجده في صحبة الكبار وجلساتهم المملة المزيفة بالأماكن الراقية!
واختتمت "تصريحها" بأنها تعرف جيدا أنها "مجنونة" لا تستجيب إلا لنداء طبيعتها لكنها لا تملك لجنونها تغييرا!
واستقر عشقها في أعماقها صامتا كالمارد النائم، ورحلة بعد رحلة ولقاء بعد لقاء، نطقت عيناه بالحب الذي لا يجرؤ على التعبير عن نفسه حتى فوجىء بها بعد أن غادرهم الأصدقاء ذات يوم تقول له وهـو يركب إلى جانبها بالسيارة بغير اهتمام:
_ أنت "يا ولد" تحبني.. أليس كذلك؟
فتضرج وجهه بالاحمرار.. ولم ينطق بحرف.
فعادت تقول: ربما ترى نفسك غير جدير بي.. أو تقول لنفسك أين أنا من فلان وفلان الذين يطاردونها.. أليس كذلك؟
فأحنى رأسه عاجزا عن الكلام، فعاد صوتها يقول:
_ارفع رأسك.. لماذا تشعر بأنك لا تستحقني.. ألا تعرف أنني أيضا "مجنونة" وقد أجد فيك ما لا أجده في هؤلاء الكبار؟
ثم مدت يدها وأمسكت بيده في حنان مفاجئ فانهار آخر حصونه واستجمع قوى الدنيا بأسرها ورفع يدها إلى فمه وقبلها.. وسقطت دمعة ساخنة على ظهر كفها اللدن.
وبدأت قصته معها.. وبجرأتها المعهودة لم تخف شيئا.. وتصدت للانتقادات والهمسات والكلمات الطائشة، فألزمت كل معتد أثيم حدوده. وأصبحت تنهي عملها في مكتبها القريب من إدارته ثم تأتي إليه في مكتبه لتصطحبه علنا أمام زملاء العمل، وتنزله معه إلى سيارتها فيمضيان اليوم معا من الثالثة بعد الظهر إلى أن يوصلها إلى بيتها عند منتصف الليل. وفى هذه الأثناء عرف سميح زائر هذا المساء الذي أعاد ظهوره المفاجىء إلى القلب الموجوع ذكرياته، فقد قادتها أقدامها ذات مساء إلى كازينو الأحلام ليمضيا فيه فترة المساء واختارا مائدة جانبية هادئة ليستمعا إلى الموسيقى الناعمة التي تشيع في المكان ويستريحا من عناء التجوال، وجاء الجرسون الشاب فاستراح إليه للوهلة الأولى وسأله عن اسمه.. وداعبته هي بأن مظهره يبدو كأنه طالب جامعة فأجابها بأنه كذلك بالفعل. لكنه يعمل في المساء ليواجه ظروفا صعبة. وتكررت زيارتها لكازينو الأحلام وتصادق هو معه سريعا وزاره سميح في مكتبه وفي بيته واستعار منه بعض الكتب والروايات، وعامله باحترام فأحبه سميح ووجد في صحبته عزاء عن ظروفه الصعبة، وحثه دائما على إنهاء دراسته وعدم الاستسلام لظروفه، فاستمد من تشجيعه عونا له على إكمال المشوار.. وفي فترة الامتحان كان يستضيفه في بيته الذي يعيش فيه وحيدا مع أمه وأبيه ليوفر له الجو الملائم فنطقت عينا سميح بالعرفان. ومع توثق الصداقة أصبح كازينو الأحلام هو واحتها التي يمضيان فيها فترة المساء معظم

أيام الأسبوع. وأصبح سميح يحتجز لها مائدتها المفضلة ويضع عليها بطاقة تحمل اسمه كالنجوم والأعيان!.
وكما شهد صديقه الجديد ينعم بالحب والمتعة مع حبيبته اقترب منه وهو يعاني من تقلبات القطة الجامحة أو تفننها في إثارة غيرته والشك فيها، ليظل الإناء يتراقص فوق الموقد دائما في درجة الغليان.. ورآه في ضعفه يبكي في فترات هجرها له حين بدأت تضغط عليه ليتزوجها.. وتثور عليه ثورات مدمرة إذا استشعرت لمحة تردد في صوته أو ملامحه. أتتردد في القبول وأنا التي رفضت الكبار اللامعين من أجلك؟.. من تظن نفسك؟ ثم تغيب عن حياته.. فتظلم الدنيا.. ويتوحش الألم وتتوالى الليالي كئيبة مؤرقة. تمضي السحابة إلى غايتها فتعود إليه كأن شيئا لم يكن معترفة بأنها لم تطق الهجر أكثر من ذلك فتغرد العصافير عازفة ألحان السعادة والمتعة.
ثم وضعته في النهاية أمام الاختيار القاسي.. إما الزواج الآن وإما الانفصال، فغرق في التعاسة حتى القـاع.. كـان يـحبها ويرغبها، لكنه يشفق على نفسه "من إناء" الحياة معها الذي يغلي باستمرار إما بالحب والمتعة أو بالشك والغيرة والخوف من مواجهة المجتمع بهذا الزواج المحفوف بالانتقادات والاتهامات.
وأخيرا اعترف لنفسه بأن عذاب هجرها أشق عليه من عذاب الشك والغيرة.. فألقى سلاحه أمامها واتصل بها يطلب موعدا لكي يزور أسرتها مع أبيه وأمه زيارة تعارف مبدئية. وسعدت بالخبر وعادت إليه فروت ظمأه القاتل وحددت موعدا بعد يومين.
كان الوقت شتاء والجو شديد البرودة، وأقنع أباه بصعوبة بالغة عن كل الحقائق عدا أنها تزوجت أستاذها بالجامعة وطلقت منه بعد سنوات. أما العقم فلم يشر إليه وأما الزواج العرفي والسمعة السيئة فقد احتفظ بها لنفسه ووعده شقيقه مشفقا ألا يشير إليها.. ووافق الأب بغير اقتناع كامل. لكنه صحا في اليوم الموعود محموما ودرجة حرارته فوق الأربعين وزاره الطبيب فأمره بالراحة لمدة أسبوع، فطلب الأب من ابنه أن يفي بوعده للأسرة التي تنتظرهم وأن يصطحب معه شقيقه الأكبر وأمه لينوبا عنه. واتصل هو بفتاته ليبلغها الخبر فلم يكد يشير في بداية الحديث إلى مرض أبيه حتى انفجرت فيه انفجارا مدمرا لم تسمع معه باقي الرسالة.. وأعلنت له انتهاء كل شيء وصفعه صرير التليفون في أذنه كحكم قاس عليه بالعذاب الأبدي. كعادتها في سوء الظن بالآخرين، تصورت أنه يراوغ فلم تسمع باقي القصة ولم تتح له فرصة الدفاع عن نفسه. وعاد يائسا لأسرته فأعلن انتهاء كل شيء ولم تتم الزيارة.. واختفت هي عن كل مظانها حتى بدأ العقل الشامت يخاطب القلب الكسير ويسأله.. هل يمكن أن تستقر سفينة الحياة مع كرة اللهب المشتعلة دائمـا هذه؟

وعانى الألم مغالبًا نفسه لكيلا يستجديها العودة إليه مرة أخرى وقاطع كازينو الأحلام.. فلم يعد يرى سميحا أو يتصل به. واتصل به سميح بعد شهرين يسأل عنه، فأجابه أنه مشغول عن الذهاب للكازينو بظروف طارئة. ولم يتحمس لدعوته للقاء.. لأنه ارتبط في ذهنه بمن يريد أن يتجنب كل ما يذكره بها من أماكن وأشخاص. وبعد شهور طويلة كليل السجين عادت للاتصال به مرة أخرى، لكن شيئا ثمينا في روحها وفي روحه كان قد غاب إلى الأبد.. ولم تبق إلا المرارة على الجانبين. وكما عادت فجأة اختفت فجأة أيضا مسلمة بأن الإناء المشروخ تصعب إعادته إلى صورته الأولى. وتساقطت أوراق الأيام سريعة فسمع بعد عام بزواجها من أحد مديري الشركة. وكان هو قد انتقل إلى شركة أخرى فلم يسمع بالخبر إلا بعد إتمام الزواج بشهور. وبعد ثلاثة أعوام من انتهاء قصته معها تزوج هو زواجا تقليديا رضي عنه الجميع وعاش حياة هادئة لا تعرف لذع الحب الممتع.. ولا لسع الألم المحرق، فاستقرت حياته وواصل تقدمه في عمله باطراد.. أما واهبة الحب والعذاب فلم تستقر سفينة زواجها الثالث للأسف سوى بضعة أعوام ثم تحطمت على صخرة الشك والجنون.

وأنجب أبناءه.. وتسللت الشعيرات البيضاء إلى فوديه.. ونسى كازينو الأحلام فلم يقترب منه مرة أخرى.. ولم يعد يتذكرها إلا في المناسبات، وأسف لها مرة أخرى حين علم بزواجها الرابع وهجرتها ثم فشل هذا الزواج أيضا وعودتها الخائبة يائسة من أي أمل في الاستقرار.. ولمحها ذات مرة خلال انتخابات النقابة التي تجمعهما عضويتها فوجدها مثالاً للجمال الحزين.. والفتنة التي لم تعد على صاحبتها إلا بالعناء، ورثى لها على البعد أكثر حين مال عليه رئيس إحدى الشركات خلال جلوسها بالنقابة وقال له هامسًا وهو يشير إليها خفية: يقولون إنها تتردد على طبيب نفسي بانتظام، ليعالجها من إدمان الشراب بعد فشل آخر زيجاتها ويأسها من الاستقرار! ثم توالى سقوط أوراق الأيام فلم يعد يراها أو يسمع بها أو يتذكرها حتى جاءه زائر هذا المساء ونكأ الجراح القديمة.

واقتربت السيارة من بيته.. فأطفأ سيجارته الثالثة منذ غادر مكتبه.. وبدأ يتهيأ لمغادرتها.. فإذا بصوت داخلي في أعماقه يسأله:

أكان الأفضل أن تستمتع بلهب الحب اللاذع بضع سنوات من عمرك وتتكبد كل ما تتكبده من آلام ثمنا له.. أم أن الأفضل هو ما اخترت لنفسك من حياة هادئة لم تعرف لهب المتعة ولا لسع الألم؟

وفكر مليا في السؤال وهو يدير مفتاحه في باب مسكنه بغير أن يتوصل إلى جواب ثم دخل إلى غرفة نومه وحيا زوجته وأولاده وهو يفكر فيه.. وخلع ملابسه وارتدى الروب الشتوي الثقيل ثم جلس أمام التليفزيون ينتظر صينية العشاء، وجاءت بها زوجته الرصينة دائما منذ عرفها كأنها شيخ وقور، فمدّ يده بتثاقل إلى قطعة التوست الأسمر المحمص المخلوط بقشور القمح، وقطعة

الجبن القريش المنزوعة الدسم الخالية من الملح التي لا يتناول غيرها في العشاء والإفطار بأمر الطبيب.. بالإضافة إلى غدائه من الخضر المسلوقة كل يوم، وبدأ يزدرد طعامه بصعوبة وبلا شهية.

وغلبته أفكاره وخواطره فقال لزوجته فجأة:

_ لماذا تحب النفس الطعام الحريف بتوابله اللاذعة المثيرة للشهية.. رغم أنه لا يعدنا إلا بالألم والمرض.. ولماذا تعاف النفس الطعام الصحي.. رغم فوائده المؤكدة؟

ودهشت زوجته للسؤال غير المتوقع فسألته متعجبة:

_نعم؟

فتنبه لنفسه على الفور.. وأسف لانفلات خواطره منه على غير إرادته وقال لها معتذرًا:

_ أوه عفوا.. سرحت قليلاً في قصة زائر زارني فجأة هذا المساء في مكتبي بعد غيبة عشرين عاما!

وعاد يأكل طعامه صامتا.. بلا رفض.. ولا حماس!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق متميزون
E-BOOK

سهرة ممتعة!

استسلمت الصغيرة للنوم في غرفتها بعد عناء شديد.. فأحكم الغطاء حولها.. ونظر إليها طويلاً ليتأكد من أنها لن تصحو مرة أخرى.. ثم غادر الغرفة إلى المطبخ فصنع لنفسه فنجانا من القهوة.. وحمله إلى مقعده المريح أمام التليفزيون وتمدد أمامه يرقب شاشته في استرخاء وهو يحتسي القهوة ويدخن ويفكر.

لكم أرهقتني الصغيرة هذا المساء قبل أن تنام. بكت كثيرا وسألتني من جديد "عنها".. واتهمتني بحرمانها "منها"، وأقسمت أنها لن تذهب إلى المدرسة غدا إذا لـم أعدها باصطحابها إليها فاضطررت لأن أعدها بذلك. أقسى من الألـم أن تتظاهر بأنه ليس بك أي جرح وأنت الجريح حتى الموت.. وهذا ما أفعله كل يوم مع طفلتي الصغيرة ومع زملاء العمل والأصدقاء وأمي وإخوتي منذ شهور طويلة.

شقيقتي التي تكبرني بعامين هي وحدها التي لم تنخدع 18 لحظة بتظاهري بالاستهانة بما حدث، ونظرت إليّ طويلاً وأنا أجلس في الشرفة وقت الأصيل أشرب القهوة وأرقب الطريق.. ثم انفجرت فجأة في البكاء فلم أستطع الاستمرار في الخديعة وجاوبتها بسيل صامت من الدموع.

تزورني كثيرا منذ جرى ما جرى.. وتغسل ملابس الطفلة وتطهو طعام الأسبوع وتضعه في الثلاجة وتلاعب الطفلة كثيرا.. وتصطحبها إلى المحلات لشراء احتياجاتها، وتدعوني إلى بيتها كل بضعة أيام لتناول طعام العشاء وقضاء الأمسية مع زوجها وأطفالها.. زوجها صديق أكثر منه قريب.. تألفت روحي معه منذ انضم إلى أسرتنا ووجدت فيه قلبا طيبا وعقلاً راجحا. كلاهما عطوف يبادل الآخر عطفا وحبا فنضج بيتهما بعطر الحب والرحمة. هكذا كنت "معها" في أيامنا السابقة.. لكن أريج الحب لم يثبت للأيام.

كانت شقيقة لأحد زملاء العمل.. رأيتها معه أكثر من مرة واجتذبتني إليها بجمالها.. وخفة ظلها.. وقوة شخصيتها.. جسست نبضها فوجدت الطريق مفتوحا أمامي. فاتحت شقيقها في خطبتها فرحب بي على الفور، تعاونا في إعداد عش الزوجية وقدمت لها كل ما أملكه.. وأحببتها وشغفت بها قبل أن نبدأ حياتنا الزوجية.. وبعد الزواج سلمت لها راية قلبي وازددت افتتانا بها، وجاءت الصغيرة بعد عام من الزواج فوثقت الروابط وجملت الحياة أكثر. لكنها رغم سعادتها معي كانت دائمـا ملولة وضجرة.. وكثيرة الشكوى.. من كل شيء تشكو من عملها وعدم إنصافها فيه.. ومن متاعب الطفلة الصغيرة ومن ارتفاع الأسعار.. وقلة الدخل مع أني أضع في يدها مرتبي الكبير كاملاً كل شهر ولا أحاسبها فيما أنفقته.. وتشكو من غيابي أسبوعين كل شهر في موقع العمل البعيد بالشركة التي أعمل بها مع أني أتقاضى عن هذين الأسبوعين أجرا مضاعفا يخفف من عناء حياتنا.

وفي كل الظروف كنت أسمع باهتمام وأواسيها وأخفف عنها.. فتستريح ثم لا تلبث أن تتألق الابتسامة الجميلة في وجهها..
ولجمالها وخفة ظلها.. وشهامتها نالت مكانة غالية لدى أمي وإخوتي وزملائي، فهي الحريصة دائما على صحة أمي ومجاملة أشقائي في مناسباتهم والمتطوعة بشهامة لمساعدة كل من يحتاج إلى مساعدتها منهم، وكلما أثنى عليها أحد من أهلي ثملت طربا بالثناء وازددت بها فخرا وغفرت لها نغمتها الشاكية.
أما في بيوت أصدقائي فقد تألقت بجمالها وحضورها وخفة ظلها في المناسبات الاجتماعية وفي مصيف الشركة كسبت ود زملاء العمل الذين تجمعنا بهم الإجازة وشقق المصيف.
وفي إحدى هذه الإجازات تعرفنا إلى أسرة زميل جديد انتقل إلى فرع الشركة مؤخرا وتقاربت الميول بيننا سريعا.
وكثرت لقاءاتنا خلال إجازة الصيف.. ثم استمرت بعد العودة من المصيف، فتعددت دعواته لنا للعشاء ودعواتنا له ولزوجته وابنتيه، وتوثقت العلاقة بيننا حتى أصبحنا لا نخرج في نزهة إلا ولا نقضي يوم الإجازة الأسبوعية إلا معا في بيتنا أو بيتهم أو معهم.. أو في النادي. ورغم سعادتها البادية فلقد ازدادت النغمة الشاكية في حديثها وأضافت إلى أسباب شكواها المتعددة.. سببا جديدا لم يكن قائما من قبل هو أنا فقد بدأت تشكو مني.. وتحاسبني على كل كلمة أو إشارة وتستشعر في تصرفاتي العادية جرحا لمشاعرها أو عدم تقديري لها.. أو تجاهلاً للاهتمام بها.. وعبثا حاولت أن أنفي عن نفسي الاتهام وأبرهن لها على العكس.. إلى أن فوجئت بها بعد عودتنا من النادي ونوم طفلتنا الصغيرة ذات يوم تقول لي في جدية:
_أريد أن أحدثك في أمر هام.
فتطلعت إليها باسما ومنتظرا فإذا بها تطلب مني الطلاق؟
الطلاق! بعد يوم سعيد قضيناه في النادي مع أسرة صديقة ولم تكف طواله عن الضحك والابتهاج؟ لماذا؟ وماذا حدث؟.. جد أم هزل هذا؟ أسئلة كثيرة متلاحقة طرحتها عليها وأنا مبهور الأنفاس.. فلم أحظ منها بجواب شاف، وكان كل ما قالته لي إنها تريد الطلاق ولن تتنازل عنه، وسوف تغادر البيت غدا إلى بيت أسرتها حتى أستجيب لطلبها.
وماذا عن ابنتك؟ لا جواب!.. وماذا عنى وقد قدمت لك كل ما أستطيع لأرضيك وأحافظ على هذه الأسر أسرة الصغيرة من أجلك ومن أجل طفلتنا؟.. لا جواب.
هل أسأت إليك.. هل آذيتك مرة.. هل ضربتك مرة.. هل أهنتك؟ هل بخلت عليك؟ لا جواب.. أو أجوبة كاللاجواب بكلام متهافت عن بعض الخلافات العابرة البسيطة القديمة التي لا تخلو منها حياة زوجية ولم تستغرق ساعات وانقضت منذ زمن طويل.

إذن ما العمل؟ تجيبني: الطلاق.. فكري.. راجعي نفسك فكري في ابنتك.. في مستقبلها.. في مصلحتها!
ولكن لا تفكير ولا مراجعة.. طوال الأسابيع التالية لـم تنجح أية محاولة معها لإقناعها بالعدول عـن طلبها حتى صرخت فيها أمها في حضوري: يا ظالمة.. واصطدم بها شقيقها صداما صاخبا.. وكادا يتشابكان بالضرب في وجودي.
وأخيرا سلمت بما لا مفر منه، لكني أردت في اللحظة الأخيرة أن أضع أصعب العراقيل في طريقها لعلها تفيق إلى نفسها، فعلقت موافقتي على طلاقها على تنازلها عن حضانة الطفلة لي. وتلقى القلب الجريح طعنة أشد إيلاما بموافقتها على هذا الشرط القاسي! ويوم أبلغتني شقيقتي بموافقتها في التليفون وهي تصب لعناتها على "الفاجرة" التي تضحي بطفلتها للحصول على الطلاق وضعت السماعة مذهولاً، وظللت أتجول في مسكني الخالي تنهبني الأفكار والخواطر.. وإحساس مرير برخصي وهواني على زوجتي يقتلني.
وفجأة وجدتني أقف أمام المرآة وأتفرس في وجهي وهيئتي لأكتشف سر بشاعتي التي تدفع أماً للتخلي عن طفلتها للتخلص من عشرتي، وطال وقوفي أمام المرآة.. حتى خفت على نفسي من الجنون، فتناولت حبة مهدئة ودخلت في فراشي محاولاً النوم، فمضى وقت طويل وأنا مستلق في الفراش أرقب نجفة غرفة النوم وأتساءل متحيرا: لماذا يراني الآخرون طيبا وحلو المعاشرة ومهذبا.. ولا تراني زوجتي كذلك؟ لابد أنهم جميعا مخطئون وهي وحدها الصادقة، فالزوجة هي من تعرف صدقا حقيقة من تعاشره، أما الأهل والأصدقاء فهم لا يعرفون عنه إلا ما تبدو عليه صورته الخارجية.. وفي غمار أفكاري اكتشفت فجأة أن معظم لمبات النجفة المصممة على شكل ملائكة صغيرة تحمل مشاعل الإضاءة مطفأة وتالفة، وتذكرت أنها كذلك منذ زمن طويل ولـم أفكر في تغييرها. قلت لنفسي انطفأت وتلفت ولم نتنبه لضرورة استبدالها بلمبات جديدة، فمتى انطفأت مشاعل الحب في حياتي وخيم عليها ظلام النفور دون أن أدري؟.
في قلب الأحزان يتشاغل الذهن أحيانا بالأشياء الصغيرة. فهل هذه علامة صحية.. أم نذير جنون؟.
أطفأت نور الغرفة ووضعت الوسادة فوق رأسي محاولاً النوم، فغمر ضوء الصباح الغرفة ولم يغمض لي جفن، وفي مساء ذلك اليوم توجهت مع شقيقتي إلى مكتب المحامي.. وجاءت هي وشقيقها وطفلتي بعد اختفاء أسابيع وأعدت صيغة التنازل عن حضانة الطفلة.. ووقعتها أمامي بثبات وهي تتجنب النظر إليّ وإلى شقيقتي.. ثم خرجنا إلى مكتب المأذون فطلقتها فيه.. وقبلت الغادرة الطفلة وهي تقول لها إنها ستسافر لبضعة أيام وستتركها مع بابا حتى تعود، ثم غادرت المكتب في صحبة شقيقها دون وداع.

ومنذ ذلك اليوم تغيرت أشياء كثيرة في حياتي، فاعتذرت عن عدم السفر إلى مواقع العمل البعيد متنازلاً عن فوائده المادية.. وتفرغت لرعاية طفلتي والاهتمام بشئونها ومحاولة ابتكار إجابة جديدة كل يوم عن سؤالها الدائم عن موعد عودة أمها.

وفي يوم الجمعة من كل أسبوع يأتي شقيق الغادرة خجلاً ليستأذنني في اصطحاب الطفلة إلى أمها، وتبكيني صامتا فرحة الطفلة بالذهاب معه.. وتبكيني أكثر عودتها من الزيارة دامعة وهي تسألني عن سبب عدم عودة أمي للإقامة معنا.

أيامي تتوالى كئيبة.. ومواساة الأهل لى تخفف عني بعض آلامى وتثير رثائي لنفسي في نفس الوقت، قالت أمي راثية سعادتي الـمـهـدرة، كنت دائما أطيـب أبنائي وأكثرهـم حنانا بإخوته، ولـم تـحتج يوما لمن ينبهك إلى واجبك.. فكيف تكون أقلهم حظا في الحياة؟

فأسمع كلماتها الطيبة شاكرا.. ومتظاهرا بالمرح وبالاستهانة ومؤكدا لها أني سعيد بحياتي هكذا مع ابنتي.. لكـن هيهات أن يغفل قلب الأم عن التعاسة الكامنة في الأعماق. وكنت أظن أني قد تجرعت كأس الألـم كاملة. فإذا بي أذهب إلى عملي ذات صباح فأجد الجميع يتفحصونني باهتمام ورثاء خفي كأنما يتوقعون مني شيئا لا أعرفه.. وشعرت في نظراتهم بشيء مريب فسألت أقربهم إلى قلبي عما يدور حولي فنظر إليّ صامتا ثم فاجأني بدعوتي للخروج معه من العمل في مشوار قصير.. وفى الشارع قال لي بنبرة عاطفة:

_لابد أن تعرف ما يعرفه غيرك.. لقد تزوجت زوجتك السابقة من زميلنا فلان زواجا عرفيا وعرف الجميع في العمل بذلك اليوم.

فشعرت بأن ساقي تعجزان عن حملي.. وتوقفت في الشارع مذهولاً.. فلان.. صديقي المقرب الذي تعرفت على أسرته في المصيف واحترمت زوجته وأحببت ابنتيه؟ ألهذا اختفى من حياتي طوال الأسابيع الماضية وكنت أعتب عليه تخليه عني في محنتي.. فإذا به هو صانعها والمسؤول عنها!

هذه هي القصة إذن.. نار تسري تحت الرماد وأنا مطمئن إلى يومي وغدي مع زوجتي وطفلتي الصغيرة.. الأمر إذن ليس مصادفة وإنما تدبير محكم أنا ضحيته وطفلتي أيضا.. لكن كيف تنازلت المعتزة بنفسها وجمالها عن كبريائها، فرضيت بوضع الزوجة الثانية لزوج وأب لابنتين في سن المراهقة، وكيف تمادت في الهوان فرضيت بزواج عرفي أشبه بالزواج السري؟

وعجزت تماما عن المشي.. فاستدعى زميلي سيارة أجرة وصحبني إلى سكني الخالي ولازمني طوال اليوم يهون عليّ الأمر.. ويخفف عني وحملته عند انصرافه خطابا إلى مديري أطلب فيه إجازة لمدة أسبوعين. وأمضيت الإجازة في مسكني لا أكاد أغادره إلا لفترة قصيرة كل مساء مع طفلتي

أشتري خلالها لها ما تحتاج إليه أو أروح عنها وعن نفسي بالمشي قليلاً في الشوارع.
وعدت للعمل بعد الإجازة جريح القلب والكرامة.. وتجاهل الزملاء أية إشارة إلى زميلي بطل القصة احتراما لمشاعري، وشعرت بارتياح كبير حين علمت بأن مديرنا قد نقله إلى فرع آخر مصحوبا بتقرير سيىء عن أخلاقياته، ورتبت حياتي بعد ذلك على التفرغ لعملي وطفلتي ولـم يعـد هناك ما يشغلني سوى تدبير احتياجات معيشتنا معا وترتيب زياراتها لأسرتي وبيوت أشقائي.
وأسرفت في احتساء القهوة والتدخين والجلوس شاردا أمام جهاز التليفزيون كل ليلة.. أرقب شاشته طوال الوقت ولا أعي مما أراه الكثير، وأصبحت مشكلة حياتي الوحيدة هي إخفاء الحقيقة المؤلمة عن طفلتي حتى لا تترسب في وجدانها الصغير وتنمو داخله مع الأيام.
فرفضت أن تزور طفلتي أمها في الشقة المفروشة التي استأجرها الصديق الغادر، ورفضت السماح لها برؤيتها إلا في بيت جدتها وتحت رقابة شقيقتي التي تحملت هذا العناء الأسبوعي راضية إكراما لي.
ولم أشعر بالشماتة في الغادرة.. وشقيقتى تحدثني عن ذبول جمالها وانكسار نظرتها.. ومحاولتها إقناع شقيقتي بأنها كانت مغلوبة على أمرها فيها فعلت، وأنها تدفع الثمن غاليا الآن من لوم الجميع واحتقارهم الصامت لها، ومن تهدم الأحلام السعيدة وانكشافها عن حياة نصف زوجة تختلس من زوجها بضع ساعات من يومه وتتعرض لمتاعب عديدة من زوجته وابنتيه.
نعم لم أشعر بالشاتة، فيها.. ولا بالعطف عليها.. فجرحي لم يدع لي مجالاً للتفكير في أمرها، واهتماماتي مركزة الآن في شئون الطفلة الصغيرة ودروسها.. وملابسها.. وحمامها.. وطعامها وصحتها وتسليتي اليومية هي الجلوس أمام شاشة التليفزيون بعد نوم الصغيرة ومشاهدة أفلامها وقصص حياة الآخرين فيها والاندماج معها بعض الوقت والاستمتاع باحتساء القهوة والتدخين في هدوء، وأنا أفكر من حين لآخر في البحث عن إجابة مثالية لسؤال الطفلة اليومي عن أمها بشرط أن تكون إجابة لا تكذب.. ولا تهز في نفس الوقت صورة الأم الحنون في مخيلة طفلتها فتتأثر معنوياتها وتهتز قيمتها حين تكبر.
ومازلت أفكر في هذا الأمر كل ليلة.. ولم أهتد بعد إلى الإجابة المثالية.. فعسى أن أجدها خلال وقت قريب..
وتنبه من شروده فجأة على صوت أزيز جهاز التليفزيون بعد انتهاء الإرسال.. فتعجب كيف انتهى دون أن يتنبه إليه.. وحاول جاهدا أن يتذكر ماذا كانت سهرة الليلة.. فلم ينجح في التذكر ونهض ببطء، فأدار مؤشر التليفزيون باحثا عن قناة مازالت تبث إرسالها في هذا الوقت المتأخر من الليل.. وارتسمت الخيبة على وجهه حين لـم يجد شيئا سوى الأزيز على كل القنوات.. فأغلق

الجهاز وتثاءب ومضى متثاقلاً إلى غرفة نومه وهو مازال يفكر.. في الإجابة المحيرة التي يبحث عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الشيء الزائد!

كانت تعيش حياتها في فتور.. لا تشكو التعاسة ولا تعرف خفقة القلب لمن يحب. تخرجت في الجامعة والتحقت بعمل حكومي مناسب ثم تعرفت على زوجها في دائرة العمل ورآها فأعجبته وتقدم إليها فلم ترفضه.

هل أحبته؟ لا تستطيع أن تجزم بذلك بعد كل هذه السنين.. هل كرهته؟ مؤكد أنها لم تكرهه، لكنها حملت له مشاعر الألفة ووحدة المصير والمشاركة في مسؤولية الحياة. أما الحب فشيء آخر يضيف إلى كل ذلك "شيئا زائدا" لا يعرف كنهه إلا من يحسه!

ولقد كانت تراجع مشاعرها تجاه زوجها من حين إلى آخر لتبحث فيها عن هذا الشيء الزائد.. فتقنعها المراجعة بأنه لم يولد بعد!

وبعد سنوات من العمل في الهيئة التي تعرفت فيها بزوجها نقلت إلى هيئة حكومية أخرى، وفى هذه الهيئة الجديدة رأته للمرة الأولى رجلاً وسيما وسامة الرجال الأقوياء.. تتسم تصرفاته بالجدية والاحترام.

التقى بها في الصباح عند المصعد بمقر العمل فحياها باحترام وردت تحيته بشعور محايد.. وفي العمـل سمعت عنه كلاما طيبا.. وتكرر لقاء المصعد في الصباح، وخلقت رحلته الطويلة إلى الدور الرابع عشر بينهما ألفة كألفة رفاق السفر، فأصبحا يتناقلان أخبار مرض الأبناء ونجاحهم.. ومشاكلهم.. وأخبار العمل خلال لحظات الانتظار.. ورحلة الصعود ثم يصل المصعد إلى مقر العمل، فيخرجان منه ويتجهان إلى الإدارة الحكومية التي يعملان بها.. ويواصلان الحديث إلى أن يفترقـا عنـد نقطة الافتراق، فتتجه هي إلى الغرفة لأولى في بداية الممر حيث يقع مكتبها.. ويواصل هو السير فيه إلى مكتبه في نهايته.

صباحاً بعد صباح.. ويوماً بعد يوم وعاماً بعد عام وهما يلتقيان أمام المصعد، ويتشاركان في رحلة الصعود وتبادل الحديث العابر الذي لا يشي بشيء خاص، وإن عكس ألفة كألفة زملاء العمل الواحد حين تطول بهم العشرة ويجمعهم تقارب الميول.. ثم أعير زوجها للعمل بإحدى الدول العربية فسافرت بأسرتها معه إلى هذه الدولة وعاشت بها أربع سنوات كاملة. هل افتقدت في غربتها رفيق رحلة الصباح اليومية في القاهرة؟ لا شيء يؤكد لها ذلك.. فلقد كانت تفتقد كل زملاء العمل وتفتقد أشقاءها.. وجيرانها.. وتطوف بمخيلتها صورهم وذكراهم واحدا بعد الآخر.. وكان هو يطوف بمخيلتها كغيره من الأهل والأصدقاء والجيران المقربين، وتذكر له بالود احترامه لها وروحه الودود تجاهها، وقد اهتمت بأن تعرف أنه قد أعير هو الآخر بعد سفرها بعام لدولة عربية أخرى وانتقل إليها، وتمنت له على البعد كل خير في الحياة.

وانتهت فترة إعارة زوجها وعادت لحياتها الطبيعية في القاهرة ورجعت إلى مقر عملها فلم تجده فيه.

فلقد انتقل إلى مركزها الرئيسي في مبنى آخر وانشغلت بمشاغل الحياة الكثيرة.. وبتخرج الأبناء.. وبحثهم عن مستقبلهم وحياتهم الخاصة. وفجأة توفى زوجها بعد أن أوشكت السفينة على بلوغ شاطىء الأمان. واستسلمت للأحزان والأمراض التي تناوبتها بعد رحيل رفيق الحياة واكتشفت أن زوجها كان يمثل في حياتها وحياة أبنائها الأمان، رغم فتور المشاعر.. والجفاء الصامت.. وفترات الخلاف الطبيعية بينهما.

وتزوج الابن بعـد البنت فتجرعت الأم الوحـدة في سكنها حتى الثمالة.. وخلت عليها الشقة التي عاشت فيها شبابها وسنوات عمرها وشهدت مجيء الأبناء.. ومسراتهم وحبوهم على الأرض في بواكير العمر.. ثم جريهم عليها في طفولتهم ثم مشاكلهم كفتية في مرحلة المراهقة.. ثم استواءهم شبابا وعقـولا تتخاطب وتتفق وتختلف معها ويملأون فراغ حياتها بكل شيء جدير بالاهتمام.

وتخرج إلى العمل في الصباح وتعود منه بعد ساعات قليلة فتشتري خلال العودة احتياجاتها البسيطة من الأسواق، ثم تصعد إلى مسكنها الخالي فتبقى فيه وحيدة مكتئبة حتى الصباح! لا شيء يبعث في ركود حياتها الحرارة سوى زيارات الأبناء.. واتصالاتهم التليفونية.

وفجأة وجدت في صحيفة الصباح خبراً أثار اهتمامها، فلقد قرأت خبراً عن حركة ترقيات للمناصب العليا في الهيئة التي تعمل بها، فإذا بها تقرأ اسم رفيق رحلة المصعد في السنوات البعيـدة وقد رقى لمنصب أعلى. ترى كم من السنوات مضت منذ رأته لآخر مرة؟ 15 عاما على الأقل.. تغيرت خلالها الحياة ورحل الزوج وكبر الأبناء وانتقلوا إلى مساكنهم الخاصة، فلماذا إذن يثير هذا الخبر اهتمامها الشديد وهي أرملة وحيدة في الثانية والخمسين؟

لم تتوقف طويلاً أمام السبب وأرسلت إليه برقية تهنئة بالترقية، ولم تمض ثلاثة أيام حتى تلقت منه برقية شكر واعتذار!.. شكر على التهنئة.... واعتذار عن تأخره في مواساتها في رحيل زوجها الذي علم به مؤخراً.

وبعد أيام أخرى.. دق جرس الباب في مسكنها عند الأصيل، فغادرت مقعدها الأثير أمام التليفزيون واتجهت إليه وهي تتوقع أن تجد البواب.. أو الزبال وفتحت الباب فإذا بها تجده أمامها!

وقفت مذهولة تنظر إليه في سمته الوقور وقد زادته السنوات وسامة وجلالاً.. ووقف هو ينظر إليها في فستان الحداد الأسود ويتأملها باهتمام، وقبـل أن تنطق بأية كلمة قال لها: بصوت هامس: يا إلهي كأن مرور السنين لم يغير منك شيئا! فكادت تفلت منها رغما مرور عنها عبارة مماثلة لكنها تمالكت نفسها في اللحظة الأخيرة.. ورحبت به بابتهاج ودعته لدخول مسكنها فدخل معتذرا عن مجيئه بغير موعد سابق.

جلس في صالون الشقة.. وانطلق مخزون السنين من الكلام المكتوم، فتحدثا عن الأبناء. ورحلة الحياة وتبادلا الذكريات القديمة: هل تذكرين زميلنا

عدنان الجلالي.. لقد طلق زوجته بعد عشرة عشرين سنة ووقع في غرام موظفة صغيرة بمكتبه.
فتجيبه: هل تذكر زميلتنا نفيسة القرموطي؟ لقد مات زوجها منذ سبع سنوات.. وهاجرت إلى أمريكا وراء أولادها.
هل تذكرين.. هل تذكر.. هل تتذكر.. ومضت ساعتان كأنهما لمحة خاطفة.. فتعجبت من سرعة مرور الزمن وهي التي تعاني من ثقل الأوقات وبطئها.. وانصرف مودعا بالشكر والاحترام وتكررت زياراته لها في أوقات متباعدة، وفي زيارة منها قدمته لابنها وابنتها فاشترك الجميع في سمر عائلي لذيذ.. وأصبحت تترقب زيـاراته القليلة واتصالاته التليفونية المتباعدة في قلق. وتجدد اهتمامها بالحياة واختفت متاعبها الصحية، وتورد وجهها الشاحب بدماء الـحـاس والرغبة في "الاستمرار" بعد أن كادت تفقد كل رغبة لها في الحياة.
وفي زيارته الخامسة قال لها إنه رجل جاد ولا يريد أن يسيء إلى سمعتها كامرأة وحيدة لهذا فهو يرجوها أن تقبل زواجه منها.. بغير أن تطالبه بطلاق زوجته أم الأبناء التي هجرته منذ عامين لتقيم مع ابنتها المتزوجة في إحدى الدول العربية، والتي تتهرب من بيت الزوجية بكل وسيلة ممكنة، وتريد أن تقضي ما بقي مـن حياتها إلى جـوار ابنتها المفضلة. فإذا كان يرفض طلاقها الآن فليس إلا حرصا على مشاعر أبنائه وبناته وكرامتهم أمام أزواجهم وزوجاتهم، وقبـل أن تنطـق بشيء غادرها راجيا ألا تجيبه بـرد قبل أن تفكر في الأمـر طويلاً!
ووجدت نفسها غارقة في بحر الحيرة.. زواج في سن الثانية والخمسين ولم يمض سوى عامين على رحيل رفيق الحياة؟ ماذا يقول الأبناء وكيف ستكون استجابتهم للخبر؟
لا لن تعرضهما لأزمات نفسية بسببها.. ولن تكون سببا في إحراجهم مع شركاء الحياة.. فلم يعد لها مطمع في زواج بعد 28 عاما منه مع رفيق عمرها.. لكنها في حاجة فقط لهذا الإحساس الغريب الذي لم تحيه طوال سنوات الزواج والذي تجد في "اهتمام" الزميل القديم بها وأحاديثه ما يشبعه لديها بلا تبعات.. ولا اضطرابات في حياة الأبناء.
أنهكها التفكير والتردد.. وضاعف من معاناته توقف الزميل القديم عن الاتصال بها لكيلا يؤثر على قرارها خلال فترة اتخاذ القرار
واستيقظت من نومها ذات صباح بعد ليلة مسهدة فوجدت نفسها عازفة عن الرغبة في النهوض من الفراش، واتصلت بعملها معتذرة بمرضها، وعادت للرقاد بلا نوم وعقلها لا يتوقف عن التفكير ورن جرس التليفون أكثر من مرة، فلم تشعر بالرغبة في الحديث مع أحد ولم ترفع السماعة، وبعد ساعتين فوجئت بجرس الباب يدق بعنف فتدثرت بروب منزلي وفتحته فوجدت أمامها ابنتها الشابة تدخل منزعجة، وهي تروي لها أنها اتصلت بها في العمل فعلمت بمرضها واتصلت بها في البيت فلم يجب التليفون.

وطمأنتها أمها.. ودعتها لتناول فنجان من الشاي معها.. وجلست أمامها تحتسي الشاي في صمت وهي تختلس النظرات إليها حتى أثارت قلقها.

فقالت لها الابنة فجأة: مالك يا ماما.. ماذا يشغلك؟

فهمت بأن تصارحها بكل شيء.. وتحدثها عن "الشيء الزائد " الذي افتقدته في حياتها مع أبيها، ولاحت لها الفرصة لأن تناله مؤخرا ولكن بثمن لا تجرؤ على دفعه من مشاعر الأبناء.

فتوقفت الكلمات عاجزة.. وبذلت جهدا كبيرا لكي تحاول الابتسام وهي تقول لها: لا شيء ياسميحة.. مجرد حلم غير مريح أفسد عليّ ليلتي أمس.. فنهضت مكتئبة بعض الشيء هذا الصباح!

فقالت لها ابنتها بعطف: لماذا لا تأتين للإقامة معي يومين لتغيير روتين الحياة؟

وترقبت ردها ورفضها المتكرر لمثل هذه الدعوة بإشفاق ففوجئت بها تنظر إليها طويلاً.. ثم تقول لها:

ـ ولم لا؟ سيكون تغييرا مفيدا بلا شك؟

وابتهجت الابنة بقبولها الدعوة للمرة الأولى منذ زواجها، ونهضت بنشاط لإعداد حقيبة ملابسها وتابعتها أمها بحب وهي تجمع لها أشياءها، وقالت لنفسها كأنها تحاول الاطمئنان إلى سلامة قرارها بالإقامة لدى ابنتها لفترة قصيرة: لا بأس بالفكرة فستكون فرصة طيبة للتفكير بعمق في كل الأمور.. ومن يدري فربما تصبح فرصة ثمينة أيضا لاختبار.. ردود الأفعال؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غرفة البكاء

أحس بصدره يضيق فجأة بكل ما فيه، عجز عن الاحتمال سلم بحاجته إلى الهروب من كل شيء. لكن أين المفر والقيود تحيط به من كل جانب؟ في العمل يصفونه بالرجل القوي الذي لا ضعف فيه. ويتهمه البعض بلا حياء بأنه لا قلب له، لأنه لا يتسامح مع الضعف البشري ولا يعترف به، لا يتردد في إحالة موظف أخطأ أو تراخى أو انحرف إلى التحقيق مهما كانت مبرراته أو ظروفه! يرفض التوسلات.. ويستنكر عبارات الاسترحام... ويردد عبارته التي حفظها الآخرون عنه وكرهوها: لا تسامح مع الضعف أو الانحراف! حتى رئيس الهيئة قال له ذات يوم بعد مناقشة عاصفة معه: يا سيد حسين أنت رجل مستقيم... ومجد في عملك لكنك تفتقد المرونة.. فلماذا لا تتساهل بعض الشيء حتى تتجنب المشاكل؟

_ فغضب حتى احمر وجهه وتمسك بضبط النفس مع رئيسه وسأله:

_هل ظلمت أحدا.. أو تجنيت عليه؟

فأجابه رئيسه بضيق: لم تظلم أحدا.. لكنك تتشدد فيما يتساهل فيه غيرك ولا تقدر ظروف أحد.. فلماذا لا تتألف قلوب الزملاء ببعض التسامح؟

وهمّ بمغادرة مكتب رئيسه فلاحقه الآخر بكلماته:

_ غضبت كعادتك.. لكن لا بأس بكلمة تسمعها مني قبل أن تسمعها من غيري.. أنت ترفض كل الأعذار العائلية لمرؤوسيك.. ولا تقبل تهاون أحد بسبب ظروفه الشخصية مهما كانت مؤلمة أو ضاغطة.. وهذا سليم من الناحية الإدارية.. ولكن أين الاعتبارات الإنسانية أيضا عند الحكم على الناس؟ ألا تواجهك أحيانا مشاكل عائلية وإنسانية تؤثر على عملك؟ فأجابه بهدوء: أنا لا أسمح لاعتباراتي الشخصية أو العائلية بأن تؤثر على عملي ولا أعتذر بها عن أي تقصير.

فقال له رئيسه: أعترف لك بذلك.. وأعترف أيضاً بأنك تبدو أمامي كالصخر الذي لا يتأثر بشيء في عمله.. لكن لماذا تطالب الآخرين دائما بأن يكونوا مثلك.. أليست لكل إنسان ظروفه؟.

وانتهت المناقشة بينهما كالعادة بلا نتيجة حاسمة. وعاد هو إلى مكتبه فأضافت كلمات رئيس الهيئة إلى معاناته هموما جديدة.

أنت رجل قوي، لكن لماذا تطالب الآخرين بأن يكونوا مثلك أنت بلا ضعف لكن الآخرين لهم ضعفهم فلماذا لا تقدر ظروفهم.. كلمات.. كلمات يبررون بها الإهمال والانحراف.. ويصورونه بها كأنه إنسان بلا هموم.

فأين هو الإنسان الذي خلت حياته من الهموم والأحزان؟

مضى يوم العمل ثقيلاً بطيئاً.. ونفس كعادته عن مشاعره المكبوتة بالاستغراق في عمله، ومن حين إلى آخر راح يتطلع إلى تليفونه الخاص الذي لا يعرف رقمه إلا الخلصاء.. وينتظر رنينه فيظل التليفون صامتا صمت القبور

وتزداد غصته وإحساسه بالقهر المكتوم.. ومرات بعد مرات فكر في أن يتصل بمن ينتظر مجيء الاتصال منه.. ومد يده إلى التليفون بالفعل وأدار الرقم ثم وضع السماعة قبل أن يجيبه أحد.
بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر.. وانتهت ساعات العمل الرسمية لكنه لم تبد عليه أية نية لمغادرة المكتب، وبعد قليل طرقت الباب سكرتيرته تستأذن في الانصراف فأشار لها بيده موافقا وهو يقول لنفسه: مخلصة وأمينة ونشيطة.. لكن زوجها قاس كالحجر.. ويثير في وجهها زوبعة إذا عاد من عمله يوما ولم يجدها.. ومرات جاءت إلى المكتب وآثار اللكمات في وجهها.. وشكت له من متاعبها معه فسمح لها بالانصراف قبله.
ويقولون بعد ذلك إنه لا قلب له ولا يراعي الاعتبارات الإنسانية!
واصل هو العمل بلا كلل ثم طرق الباب بعد ساعة أخرى مدير مكتبه متسائلاً عما إذا كان يريد أن يتناول الغداء في العمل كما يفعل معظم الأيام، فأحس من كلماته بأنه يتلمس الطريق للإفضاء له بشيء فدعاه للاقتراب وسأله عن حاله.. وتشجع الآخر فحكى له أن زوجته مازالت تعاني آلام العمود الفقري وأنه سيصطحبها بعد ساعتين إلى موعد العلاج الطبيعي، ففهم "الإشارة" وأذن له في الانصراف قبله ليستطيع اللحاق بموعده.
وانصرف الآخر شاكراً.. وبقي وحيداً في مكتبه.. يعد خطة الإدارة للعام الجديد.. ويسترق النظر من حين إلى آخر إلى التليفون الصامت حتى بلغت الساعة الخامسة مساء.. ودخل ساعي المكتب يسأل.. هل يحضر له شيئا للغداء؟
فنظر إليه صامتا لحظات ثم حزم أمره فجأة وقال له:
_ شكراً سأنصرف الآن فأبلغ السائق ليستعد ونهض متثاقلاً فارتدى الجاكت الموضوع على المقعد المجاور.. وأحكم رباط عنقه.. وغادر المكتب يسبقه الساعي حاملاً حقيبته.
وفي السيارة جلس صامتا يرقب طريقه اليومي إلى بيته في مصر الجديدة، وهو غارق في أفكاره ثم لمعت في خاطره فكرة طارئة فقال لسائقه:
_ عد يا عم مصطفى.. واتجه إلى المعادي.. وأذعن السائق للأمر وعاد بالسيارة إلى الاتجاه الآخر، ومضى مسرعاً في طريقه.
منذ أسابيع وهو يقرر كل يوم أن يذهب إلى مسكن شقيقه الذي يعمل في الخارج ليطمئن عليه كما أوصاه بذلك، ولكي يدفع عنه الإيجار المتأخر وفواتير الكهرباء، لكن مشاغل العمل وهموم الحياة تصرفه عن أداء هذه المهمة حتى مضت شهور لم يقترب فيها من المسكن الخالي وكلف سائقه بالقيام بالمهمة نيابة عنه.
في الطريق أمر سائقه بأن يتوقف ليشتري له بعض الشطائر، ثم عادت السيارة تشق طريقها حتى بلغت بيت شقيقه.

غادرها فنهض البواب يحييه بحرارة ورد تحيته بألفة وتناول البواب الحقيبة ولفافة الشطائر من السائق وتقدمه إلى المصعد. فتح باب مسكن شقيقه وتسلم الحقيبة والشطائر من البواب شاكرا ثم تقدم في الشقة المظلمة وأضاء نور الصالة وفتح باب الشرفة فرأى أرضية الشرفة مغطاة بالتراب فأسرع بإغلاق الباب الزجاجي خشية أن تتسرب الأتربة للداخل. تفقد الحجرات ببطء وحرص، فوجد كل شيء على حاله، فعاد إلى البهو وخلع جاكتته وجلس على مقعده الأثير الذي يجلس فيه كلما جاء لزيارة شقيقه وفتح لفافة الشطائر وتناولها بلا حماس.. ثم دخل المطبخ وبحث عن علب الشاي والسكر حتى وجدها وصنع لنفسه كوبا من الشاي.. عاد بالكوب إلى مقعده واحتساه ببطء وهو شارد.. ثم خلع حذاءه وجوربه واتجه إلى الحمام..

وعاد بعد لحظات فأدى صلاة العصر وبقي جالسا على سجادة الصالون ورفع كفيه متهيئا لدعاء ما بعد الصلاة كعادته، ففوجئ بنفسه ينخرط فجأة في بكاء مرير وشجعه خلو المكان على الاسترسال ولم يحاول كبح - دمو عه وأطلق لها العنان، فتحول البكاء بعد قليل إلى عويل مسموع وخلال شهقاته وجد لسانه ينطلق رغما عنه بصوت مسموع.

وحيد في الدنيا بلا رفيق ولا أنيس.. وشقيقي الوحيد الذي أرتاح إليه وأفضفض معه بهمومي بعيد عني في الغربة منذ عامين.. أيرضيك هذا؟ وشقيقتي الصغرى قاطعتني لأني وقفت ضد رغبة زوجها في الاستيلاء على ميراثها فرضخت لأمره رغم تسليمها بإخلاصي وحرصي على مصلحتها، وباعتني بالثمن الرخيص وحرمت بيتي عليها وتليفوني على لسانها.. وحتى في الأعياد تبخل عليّ بكلمة تهنئة.. وفشلت محاولاتي لاسترضاء زوجها فأبى إلا التسليم برغبته أو استمرار المقاطعة..

فتحملت الجفاء حتى لا يبدد مالها في مغامراته النسائية.. وأيدتني شقيقتي الكبرى في ذلك. ورغم ذلك قاطعتني الصغرى التي تحملت مسؤولية تربيتها بعد وفاة أبوينا، وردت إليّ هدية ياميش رمضان التي تعودت إهداءها لها كل سنة فهل يرضيك هذا؟

وزوجتي التي تحيل حياتي إلى جحيم منذ تزوجنا من 25 سنة وأتحمل صابرا عشرتها حرصا على الولدين، فعانيا معي من عصبيتها المريضة الكثير والكثير حتى كانا لا يخفيان عني تعاطفهما وإشفاقهما، ومع ذلك فقد هاجر ابني الأكبر إلى أميركا بعد تخرجه رغما عن إرادتي.. ورفض توسلاتي إليه بالبقاء معي ليعوضني عن غربتي النفسية مع أمه.. وتلاه الآخر بعد عام فأدمى قلبي حين سافر لزيارة شقيقه وبقى هناك رافضا العودة لاستكمال دراسته الجامعية.. ورافضاً توسلاتي وبكائي له في التليفون موهماً إياي أنه سيستكمل دراسته هناك.. فهل يرضيك هذا؟.

والعمر الذي تسرب من بين يدي حتى بلغت الخمسين ولم أهنأ براحة القلب يوما، وبيتي الصامت الذي لا يدور فيه حديث بيني وبين زوجتي إلا خطفا

وباقتضاب عن مطالب الحياة ومصروف البيت.. ورغم المعاناة ترفض كل محاولاتي لأن نبدأ من جديد ونتجاوز عما مضى، ونأنس بصحبة هادئة تخفف عنا وحدتنا بعد هجرة الأبناء.. وعند الخلاف لا ترعى لي حرمة.. ولا تتذكر تضحيتى بسعادتي للحفاظ على بيتها رغم المغريات العديدة.. وتهجرني عند أي بادرة خلاف إلى غرفة الأبناء بالشهور، ويحل الجفاء والصمت بيننا دون أن تبدي اعتذارا أو تقترب مني.. أيرضيك هذا؟
وقسوة الحياة عليّ حين وجد القلب راحته أخيراً بعد العناء وجمعتني الأقدار من جديد مع من أحببتها في سنوات الجامعة وتمنيتها كزوجة فحرمتني الحياة منها.. ورفضني أبوها لضعف إمكانياتي.. وحرمها من الخروج من البيت شهورا حتى أرغمها على الزواج من الزوج الجاهز الذي لم تحبه يوماً.
ثم حملتها الأقدار إليّ بعد أكثر من عشرين سنة لأنهي لها بعض مصالحها في الهيئة، فوجدتها أرملة لم تفقد جمالها ولم تفقد تأثيرها عليّ، وصحا العملاق الصامت القديم في قلبي، وراودت نفسي طويلاً قبل أن أسلم لها بأني مازلت أريدها.. ولم يعد لي إلا أمل واحد هو أن أحيا بضع سنوات من سعادة القلب معها.. واعترفت هي لي بأنها لم تنسني يوما.. وبدأنا نرتب لتصحيح الخطأ القديم.. وأعلنتها أنني لن أطلق زوجتي حفاظا على الشكل العام ومراعاة لشعور الولدين اللذين لم يرحما ضعفي.. وحددنا موعدا لمفاتحة شقيقها وأسرتها.. فتأتيني في اللحظة الأخيرة تطالبني بنسيان كل شيء والامتناع عن الاتصال بها لأنها تأكدت من أنها ستواجه مشاكل عاتية مع أهل زوجها الذين يحتفظون بميراث أبنائها لديهم.. وتفشل كل محاولاتي معها لإقناعها بأنني سأتولى عنها كل شيء ولن أفرط في حقوق أبنائها..
فلا تستجيب لرغبتي وتوسلاتي.. وتبتعد عني منذ أسابيع بلا كلمة واحدة أو أمل.. فهل يرضيك هذا؟
حتى ابني الكبير الذي يعيش في أميركا منذ عامين.. أكتب إليه لأجس نبضه تجاه مشروع زواجى فيجيبني بكلمات قاتلة يذكرني فيها بأن العمر قد مضى ولم تبق فيه بقية لطلب السعادة، "وينصحني" بأن أجنب أمه الشقاء والتعاسة في أخريات أيامها وبأن أواصل تضحياتي إلى النهاية.. أيرضيك هذا؟
واستسلم للبكاء واجترار الأحزان طويلاً حتى ارتوى، ثم تلفت حوله فجأة كأنما يخشى أن يراه أحد وتذكر أنه وحيد في المسكن الخالي، فاسترد اطمئنانه..، ونهض ببطء واتجه إلى الحمام فغسل وجهه وأزال آثار دموعه.. ثم سوى شعره.. وعاد إلى البهو فرفع الكوب الفارغ وغسله في المطبخ، وارتدى جوربه وحذاءه وجاكتته وأصلح هندامه.. وأغلق باب الشرفة.. وحمل حقيبته وغادر الشقة وهو يحس بأنه قد أزاح عن صدره عبئًا ثقيلاً.
وغادر باب العمارة فنهض البواب محييا.. فكرر عليه توصيته بالاتصال به تليفونياً كلما جاءت فاتورة الكهرباء أو الغاز ونفحه مبلغاً صغيراً.. ثم اتجه إلى

السيارة التي فتح سائقها الباب له باحترام فدخلها واسترخى في مقعدها الخلفي.. وقال للسائق: على البيت يا عم مصطفى.

ومضت السيارة في طريقها المرسوم وهو يرقب الطريق صامتاً وملامحه تسترد طبيعتها الحازمة شيئا فشيئا.. وقبل أن تصل السيارة إلى بيته.. كان قد استراح إلى قراره الجديد بأن يذهب إلى مسكن شقيقه الخالي مرة كل أسبوع على الأقل!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

الفهرس:

هذا الكتاب..

حقيبة السفر

الخطوة الأخيرة

الغدر يا حبيبي!

لاتنسى!

تحت الغطاء!

الضيفة الجديدة!

لحظة ضعف!

جلسة مريحة!

سجن الليل!

موعد.. في المساء

دواء ساحر المفعول!

صديقة قديمة!

لعبة الشتاء!

أوراق الزوجة

القطة الناعمة

يحدث ذلك أحياناً

المتعة..والعذاب!

سهرة ممتعة!

الشيء الزائد!

غرفة البكاء

الفهرس: